التحصين الثقافي
من الفكر الحداثي
رؤية من منظور إسلامي

إعداد

د/ سعيد محمد قرني علي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

كلية الدعوة الإسلامية - جامعة الأزهر بالقاهرة

(التحصين الثقافي من الفكر الحداثي- رؤية من منظور إسلامي)

سعيد محمد قرني علي

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد- كلية الدعوة الإسلامية ، جامعة الأزهر بالقاهرة

البريد الإلكتروني:alfaum1973@yahoo.com

الملخص:

لا شك أن التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية وثقافتها تمثل سيلاً جارفاً من المخططات التي تحاك لها من قبل أعدائها على مر الأزمنة والعصور، وهذه المخططات والتحديات وإن اختلفت في أسلوبها أو أشكالها فإن الهدف والمضمون واحد وهو إبعاد المسلم عن دينه وعقيدته، ومن أهم هذه التيارات المعاصرة التي كان لها صدى وتفاعل لدى النخبة والعامة والشباب والفتيات "تيار الحداثة".

ولما كان المعترك الثقافي والفكري أساساً لازماً للتحصين لدى الشباب المسلم من مخاطر الفكر الحداثي، فقد حاولت المساهمة من خلال هذا البحث.

وقد اتبعت في هذا البحث: المنهج الاستقرائي والاستنباطي.

وقد توصلت في بحثي إلى عدة نتائج ومن أهمها:أن الفكر الحداثي يشكل انعكاساً واضحاً للتيه والاضطراب الذي دخلته أوربا في كافة المجالات، خاصة بعد سيطرة الكنيسة وفسادها منذ العصور الوسطى حتى العصور الحديثة، مما هيأ الظروف المناسبة في أوربا وغيرها لاحتضان وقبول الفلسفة الحداثية.

وأقترح إبراز أهمية البحوث التي تهتم بتفنيد الشبهات التي أثارها الحداثيون ضد التراث الإسلامي، مع تشجيع الباحثين لتكثيف البحوث حولها، من خلال جمعها ثم تحليلها والرد عليها وتفنيدها، لتحقيق أقرب نقطة من الكمال فيما يتعلق بالتحصين الثقافي من مخاطر الفكر الحداثي.

الكلمات الافتتاحية: التحصين- الثقافة- مصطلح التحصين الثقافي- الحداثة- مصطلح الفكر الحداثي.

Cultural fortification of modernist thought - a vision from an Islamic perspective

Saeed Mohammed Qarni Ali

Department of Advocacy and Islamic Culture Assistant - Faculty of Islamic Da'wa, Al-Azhar University, Cairo

E-mail: alfaum1973@yahoo.com

Abstract:

There is no doubt that the challenges facing the Islamic nation and its culture represent a vast sylla of the schemes that have been hatched by its enemies throughout the times and ages, and these schemes and challenges, although different in their style or forms, the goal and content is the same, which is to keep the Muslim away from his religion and faith, the most important of these contemporary currents that have resonated and interacted with the elite, the public, young people and girls "current of modernity."

Since the cultural and intellectual environment is a necessary basis for immunizing Muslim youth from the dangers of modernist thought, I have tried to contribute through this research.

This research has been followed by the inductive and inferred approach.

I have reached several conclusions in my research, the most important of which is that modernist thought is a clear reflection of the confusion that Europe has entered in all fields, especially after the domination and corruption of the Church from the Middle Ages to modern times, creating the right conditions in Europe and elsewhere to embrace and accept modernist philosophy.

I propose highlighting the importance of research that is concerned with refuting the suspicions raised by modernists against Islamic heritage, while encouraging researchers to intensify research on it, by collecting it, then analysing, responding to and refuting it, to achieve the closest point of perfection with regard to cultural fortification from the dangers of modernist thought.

Keywords: Immunization - Culture - The term cultural fortification - modernity - the term modern thought.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وبعد:-

لا شك أن التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية وثقافتها تمثل سيلاً جارفاً من المخططات التي تحاك لها من قبل أعدائها على مر الأزمنة والعصور، وهذه المخططات والتحديات وإن اختلفت في أسلوبها أو أشكالها، فإن الهدف والمضمون واحد وهو إبعاد المسلم عن دينه وعقيدته.

والإسلام الحنيف قد جاء بالعقيدة الواضحة والشريعة الكاملة وفق أصول قطعية وثوابت يقينية من كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، إلا أن معاول الهدم على مدار التاريخ قد حملت لواء التمرد والإعراض عن منهج الله تعالى.

ومن هذه التيارات المعاصرة التي كان لها صدى وتفاعل لدى النخبة والعامة والشباب والفتيات "تيار الحداثة"

والحداثة ليست مجرد أفكار شكلية فحسب، بل هي عقائد وأيدلوجيات انطلقت وفق أصول ومبادئ غربية شكلت دينا وضعياً خبيث الملامح والأفكار.

وإذا كان هذا الموضوع قد دارت حوله بعض الدراسات السابقة، إلا أن أغلبها أو جلها قد انطلقت من الناحية الوصفية فقط دون أن تقدم دراسة مفصلة حول سبل تحصين الأمة الإسلامية من مخاطر هذا الفكر الحداثي.

ولما كان المعترك الثقافي والفكري أساساً لازماً للتحصين لدى الشباب المسلم من مخاطر الفكر الحداثي، فقد حاولت المساهمة بجهد المقل، من خلال هذا البحث الذي جاء تحت عنوان: (التحصين الثقافي من الفكر الحداثي- رؤية من منظور إسلامي) محاولاً قدر المستطاع إلقاء الضوء على حقيقة الفكر الحداثي وأهم مبادئه وأسباب انتشاره وآثاره، وموقفه من أصول الإسلام، وعلى رأسها الكتاب والسنة، وأهم جوانب التحصين الثقافي من ذلك.

وفيما يلي إشارة سريعة إلى أهمية الموضوع، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

أولا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن أهمية هذا الموضوع تتجلى من خلال عدة نقاط لعل من أهمها ما يلي:

١- خطورة الأفكار التي طرحها الفكر الحداثي تحت مسميات الحرية الشخصية وشعارات تحرير المرأة، والمرأة العصرية وغيرها من الشعارات البراقة التي فتح لأربابها مساحات واسعة عبر وسائل الإعلام ومنابر الثقافة، والتي تزعزع الثوابت، وتشكك في المسلمات، وتهدم في العقيدة والأخلاق.

٢- ما أحدثته هذه الأفكار الحداثية، من اضطراب الرؤى، واختلال الموازين وإلباس الباطل ثوب الحق لدى فئات كثيرة من الشباب والمثقفين الذين أبهرهم التركيز الإعلامي حول رموز الفكر الحداثي، حتى صار لهم أنصار ومتابعون في كل قطر من أقطار عالمنا العربي والإسلامي.

٣- المساهمة على قدر استطاعتي لتوضيح مخاطر هذا الفكر الحداثي على الأمة الإسلامية عامة وعلى الشباب خاصة، ومحاولة الوصول إلى أقرب نقطة من التحصين، والوقاية من التأثر بوباء هذا الفكر الذي يؤدي إلى الانحراف في السلوك والاعتقاد.

ثانياً:منهج البحث:

لما كان موضوع البحث يتناول دراسة التحصين من الفكر الحداثي، فقد ألزمني ذلك أن يتضمن منهجي في البحث: المنهج الاستقرائي[١] ، والاستنباطي[٢] ، وذلك من خلال استقراء أهم مبادئ الفكر الحداثي للوصول إلى استنباط أهم جوانب التحصين الثقافي منه.

ثالثاً:طريقة البحث:

وقد راعيت في طريقة البحث النقاط التالية:-

١- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، مع ذكر اسم السورة، ورقم الآية منها.

٢- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، وإذا كان الحديث في صحيح البخاري أومسلم، اكتفيت بذلك عن غيرهما.

---

[١] وهو المنهج الذي يعتمد على استقراء النصوص قراءة دقيقة، وجمع ما تيسر من النصوص التي تخدم الموضوع بعد توثيقها للوصول إلى نتيجة صحيحة (مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام د/حلمي عبدالمنعم صابر ص٢٣ بتصرف يسير الناشر مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع ط ثانية ١٤٢٥هـ ٢٠١٤م.)

[٢] وهو المنهج الذي يتيح التوصل إلى القوانين التي تتوقف على طبيعة الظواهر، حيث يتوصل الباحث من المقدمات إلى النتائج(مناهج البحث العلمي د/عبداللطيف محمد العبد ص٥٧ الناشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ط ١٣٩٨هـ١٩٧٩م)

٣- عند تدوين المراجع في هامش كل صفحة من صفحات هذا البحث، فإنني أقوم بتفصيل المرجع كاملاً في أول مرة، وإذا تكرر اسم المرجع بعد ذلك، فإنني أكتفي بذكر اسم المرجع ومؤلفه والجزء والصفحة فقط، مع الإشارة إلى كونه مرجعاً سابقاً.

رابعاً:الدراسات السابقة:

لقد تعددت الدراسات العلمية حول موضوع الفكر الحداثي بشكل عام سواء أكان من الناحية التاريخية أو من الناحية الفلسفية أو من الناحية العقدية أو غيرها، وذلك على حسب تخصص كل باحث في مجاله، ولعل إضافة الباحث تكمن في إبراز جوانب التحصين الثقافي من مخاطر هذا الفكر الحداثي، ولم أعثر على دراسة مفصلة حول هذا الموضوع، ولكن وجدت بعض الأطروحات التي لها صلة ببعض جزئيات موضوع الحداثة، ومن ذلك على سبيل المثال وليس الحصر ما يلي:

١- دراسة الباحث/ عبدالرحمان اليعقوبي، بعنوان: (الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر)، الناشر مركز نماء للبحوث والدراسات بيروت لبنان ١٤٣٥هـ.

٢- دراسة الأستاذ/عزت السيد أحمد، بعنوان: (الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية)، الناشر دار الفكر الفلسفي للدراسات والترجمة والنشر دمشق ط ثانية ١٩٩٩م.

٣- دراسة أيضاً للأستاذ/عزت السيد أحمد، بعنوان: (انهيار دعاوى الحداثة) ط دار الأصالة للطباعة دمشق ١٩٩٥م.

٤- دراسة للأستاذ/ طه عبدالرحمن، بعنوان: (روح الحداثة) ط المركز الثقافي العربي بالمغرب ط أولى ٢٠٠٦م.

٥- دراسة للدكتور/ محمد الشيخ، بعنوان: (فلسفة الحداثة في فكر هيجل) ط الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت ط أولى ٢٠٠٨م.

٦- دراسة للدكتور/ أحمد عبدالحليم عطية، بعنوان: (نيتشه وجذور ما بعد الحداثة) الناشر دار الفارابي بيروت لبنان ط أولى ٢٠١٠م.

٧- الحداثة في العالم العربي- دراسة عقدية، رسالة دكتوراة، إعداد/محمد بن عبدالعزيز بن أحمد العلي، إشراف د/ ناصر بن عبدالكريم العقل، نوقشت بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤١٤هـ.

خامساً: خطة البحث:

ويشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

فأما المقدمة: فقدمت فيها لموضوع البحث، ذاكراً أهميته، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

وأما التمهيد: فقد اشتمل على التعريف بأبرز مفردات عنوان البحث.

المبحث الأول: أهم مبادئ الفكر الحداثي، وأسباب انتشاره وآثاره.

المبحث الثاني: موقف الفكر الحداثي من القرآن الكريم وسبل التحصين منه

المبحث الثالث: موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية، وسبل التحصين منه.

المبحث الرابع: موقف الفكر الحداثي من التراث، وسبل التحصين منه.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث وأبرز توصياته.

التمهيد

التعريف بأبرز ألفاظ عنوان البحث

من مقتضيات الدراسة العلمية، التعريف بأبرز مفـــردات ومصـــطلحات عنوان البحث قبل الدخول في مباحثه.

ومن أبرز الألفاظ التي ينبغي تناولها بشيئ من التفصيل ما يلي:

١- معنى التحصين ٢ - معنى الثقافة

٣- المقصود بمصطلح التحصين الثقافي

٤-معنى الفكر ٥- معنى الحداثة

٦- التعريف بمصطلح الفكر الحداثي.

أولاً: معنى التحصين:

(الحصن: واحد الحصون، يقال حصن حصين، أي بـــيِّن الحصـــانة، وحصن القرية تحصيناً بنى حولها، وأحصن الرجل إذا تـــزوج فهـــو محصن، وكل امرأة متزوجة فهي محصنة)[١] ، ومنه قوله تعالى: (فإذا أحصن)[٢]، (أي تزوجن)[٣]، (وحصن الشيئ أي جعله منيعاً، وتحصين

---

[١] مختار الصحاح/ زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بـــن عبـــدالقادر الحنفـــي الرازي، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد، بـــاب ح ص ن ج١ ص٧٥ الناشـــر المكتبـــة العصرية والدار النموذجية بيروت صيدا ط خامسة ١٤٢٠هـــ ١٩٩٩م.

[٢] سورة النساء: آية ٢٥ .

[٣] جامع البيان في تأويل آي القرآن/ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، تحقيق/ أحمد محمد شاكر ج٨ ص٢٠٢ الناشر مؤسسة الرسالة ط أولى ١٤٢٠هـــ ٢٠٠٠م.

البلدة: إحكام سوارها، وتحصين المرأة: تزويجها فهي محصنة)[1]، ومنه قوله تعالى: (والمحصنات من النساء)[2]، أي (ذوات الأزواج)[3]

وعلى ذلك: فكلمة التحصين بشكل عام تعني المناعة والحماية واتخاذ الحيطة للوقاية من مرض أو فكر أو خطر أو ما شابه ذلك.

ثانياً:معنى الثقافة:

الثقافة: مصدر للفعل الثلاثي"ثقف" يقال (ثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقاً، أي ذو فطنة وذكاء)[4]، (وثقفت العلم أو الصناعة: أذا أسرعت أخذه)[5]، (ويقال: رجل ثقف، إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به)[6]،

---

[1] معجم لغة الفقهاء/ محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، باب حرف التاء ج١ ص١٣٣ الناشر دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ط ثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

[2] سورة النساء:آية ٢٤

[3] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ج١ ص٤٩٧، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ط ثالثة ١٤٠٧هـ.

[4] لسان العرب للإمام/ محمد بن مكرم بن علي أبي الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، فصل الثاء المثلثة ج٩ ص١٩ الناشر دار صادر بيروت ط ثالثة ١٤١٤هـ.

[5] أساس البلاغة للإمام/ أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، تحقيق/ محمد باسل، باب ث ق ف ج١ ص١١٠ الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤١٩هـ١٩٩٨م،

[6] تهذيب اللغة للإمام/ محمد بن أحمد الأزهري الهروي أبي منصور، تحقيق/ محمد عوض مرعب، باب الثاء والقاف ج٩ ص ٨١ الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت ط أولى ٢٠٠١م.

(وثقفت الرجل: إذا ظفرت به)[1]، ومنه قوله تعالى: (فإما تثقفنهم في الحرب)[2]، (أي تأسرهم وتقدر عليهم وتظفر بهم وتغلبهم)[3]

(والثقافة: هي مجموعة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها)[4]

وإذا قيدت كلمة الثقافة بالإسلام وقلنا "الثقافة الإسلامية" فهي تعني: (العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم والنظم والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها)[5]

إذن فلفظ الثقافة بوجه عام يعني سعة الإدراك والفهم والذكاء عند البحث في العلوم والمعارف، كما تعني سعة الاطلاع في كافة العلوم والفنون المتنوعة، وأما الثقافة الإسلامية: فهي تعني المعرفة الشاملة بالإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً.

---

[1] جمهرة اللغة للإمام/ أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق/ رمزي منير بعلبكي، باب ثقف ج١ ص٤٢٩ الناشر دار العلم للملايين بيروت ط أولى ١٩٨٧م.

[2] سورة الأنفال: آية ٥٧

[3] الجامع لأحكام القرآن للإمام/ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق/أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش ج٨ ص٣٠ الناشر دار الكتب المصرية القاهرة ط ثانية ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤م.

[4] المعجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون ، باب الثاء ج١ ص٩٨ الناشر دار الدعوة.

[5] ورقة عمل للدكتور/ مفرح القوسي، بعنوان: "تعريف الثقافة الإسلامية" ص٧ ، والتي قدمها لندوة مقررات الثقافة الإسلامية بين واقعها والمتغيرات، والتي نظمتها كلية التربية بجامعة الملك فيصل بالإحساء في المدة من ٢٧-٢٨ شوال ١٤٢٦هـ

ثالثا: المقصود بمصطلح "التحصين الثقافي":

إن هذا المصطلح مركب من كلمتين:التحصين ، والثقافة، وقد سبق بيان كل كلمة منهما منفردة.

أما مصطلح "التحصين الثقافي في الإسلام" فإنه يعني: نتاج عقلي وأدبي وعلمي، يتأسس على رؤية إسلامية، يحول بين الفكر الحداثي وبين الوصول إلى أهدافه المتمثلة في النيل من عقيدة المسلم وأخلاقه وتراثه[1]

وبمقتضي هذا التحصين الثقافي يمكن الوقوف أمام النصوص والأعمال الحداثية بشيئ من التدقيق والتمحيص في مبناها ومعناها، وعرضها أمام الإطار العام للإسلام الحنيف لمعرفة الزيف والضلال فيها، حتى يصل الإنسان المسلم إلى مناحي التفكير السليم الذي يتردد صداه في سلامة السلوك وصحة الاعتقاد.

رابعا:معنى الفكر:

الفكر في اللغة معناه: (إعمال الخاطر في الشيئ، يقال: رجل فكير أي كثير الفكر)[2] ومقصوده (إعمال العقل للوصول إلى معرفة مجهول)[3]

---

[1] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/ للإمام أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبي البقاء الحنفي ، تحقيق/عدنان درويش، محمد المصري ج١ ص٥١٤ بتصرف الناشر مؤسسة الرسالة بيروت.وأسس علم اللغة د/أحمد مختار عمر ص٦٨ بتصرف يسير، الناشر عالم الكتب ط ثامنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

[2] لسان العرب لابن منظور مادة فكر ج٥ ص٦٥ مرجع سابق.

[3] المعجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الفاء ج٢ ص٦٩٨ مرجع سابق.

فالفكر إذن في اللغة مرادف للنظر، ويعنى التأمل في الأمور للتوصل إلى حل المشكلات أو معرفة المجهولات.

وأما في الاصطلاح: فقد تعددت تعريفات العلماء قديماً وحديثاً حول كلمة الفكر، ومن هذه التعريفات على سبيل المثال وليس الحصر ما يلي:

قيل: (الفكر: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى معرفة مجهول)[1]

وقيل: (الفكر مرادف للنظر، وهو توجيه القلب نحو الأشياء ابتغاء العلم بها)[2]

وقيل: (الفكر كالعلم لقربه منه في معناه ومشاركته له في محله)[3]

والملاحظ في تعريفات الفكر في اصطلاح العلماء أنها تتقارب كثيراً مع المعنى اللغوي للكلمة الملازمة للنظر والعلم لتقاربهما في المعنى والدلالة.

---

[1] التعريفات للإمام/علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق/ جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، باب الفاء ص١٦٨، الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[2] مجموع الفتاوى، للإمام/أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق/عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ج٩ ص٣٠٨ الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

[3] بدائع الفوائد للإمام/شمس الدين أبي عبدالله محمد بن بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ج٢ ص٩١ الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

خامساً: معنى الحداثة:

انتشرت لفظة "الحداثة" في واقعنا المعاصر انتشاراً واسعاً، واحتلت أهمية كبيرة في دنيا الأدب ووسائل الإعلام، مع بريق جذاب آخذ بالعقول والألباب.

والحداثة في اللغة: (مصدر حدث، وهي تعني نقيض القديم)[1]

(وتعني الحداثة كذلك: أول الأمر وابتداؤه)[2]، وفي الحديث عن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[3]

(وحداثة السن: كناية عن الشباب وأول العمر)[4]

فكلمة الحداثة في معناها اللغوي إذن تحمل إشراقاً وجمالاً تستمده من جمال اللغة العربية ورونقها، فهي تعني الشيئ الجديد والحديث سواء أكان في المناهج أو الأساليب أو طرق التدريس ووسائل التجديد فيها، وهو شيئ معروف في الإسلام، حتى أصبح من منن الله على الأمة الإسلامية

---

[1] لسان العرب للإمام ابن منظور، باب الحاء المهملة ج٢ ص١٢١ مرجع سابق.

[2] المعجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية باب الحاء ج١ ص١٦٠ مرجع سابق.

[3] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بصحيح البخاري، تحقيق/محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم/محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الصلح، باب:إذا أصلحوا على صلح جور فالصلح مردود ج٢ ص١٨٤ الناشر دار طوق النجاة ط أولى ١٤٢٣هـ

[4] تاج العروس من جواهر القاموس/محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق/ مجموعة من العلماء والمحققين، باب حدث ج٥ ص٢٠٦ الناشر دار الهداية بدون تاريخ.

أن يرسل لها مجددين على مر الأزمنة والعصور، ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود وغيره بسنده واللفظ له، عن سيدنا أبي هريرة- رضي الله عنه - ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[1]

اذن فلفظة "الحداثة" بحسب معناها اللغوي هي شيئ جميل ومحبب إلى القلوب والعقول، وينبغي أن تكون بحسب إطارها الصحيح حركة فكرية تجمع بين قراءة القديم وتنقيته من الدخيل عليه، مع الالتزام بالثوابت ونشر الحرية والديمقراطية، إلا أنها للأسف قد أخذت أبعاداً أخرى في العصر الحاضر أبعدتها تماما عن معناها اللغوي الجميل، كما حملت في بوتقتها غموضاً وخبثاً يجب توضيحه لصده ودفع شره في إطار التحصين الثقافي للمسلم من مخاطر هذا الفكر الحداثي، وهو ما سوف أتناوله بمشيئة الله تعالى في ثنايا هذا البحث.

سادساً:التعريف بمصطلح الفكر الحداثي:

إن مصطلح "الفكر الحداثي" يعتبر من المصطلحات الحديثة التي طرأت على الساحة الفكرية المعاصرة، حيث لم يتردد هذا المصطلح في تعبيرات

---

[1] سنن أبي داود للإمام/أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق/محمد محيي الدين عبدالحميد، باب ما يذكر في قرن المائة ج٤ ص١٠٩، الناشر المكتبة العصرية صيدا بيروت، وأيضا: المستدرك على الصحيحين، للإمام/أبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الطهماني النيسابوري، تحقيق/ مصطفى عبدالقادر عطا، كتاب الفت والملاحم، باب حديث أبي عوانه ج٤ ص٥٦٧، الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

العلماء القدامى، وإنما تردد فقط على ألسنة الباحثين والفلاسفة المعاصرين ، ومن أبرز التعريفات لمصطلح "الفكر الحداثي" ما يلي:ـــ

١-قيل: الفكر الحداثي هو: (فكر يحطم الأطر التقليدية، ويتبنى رغبات الإنسان الفوضوية التي ليس لها حدود)[١]

٢-وقيل: هو (حركة جديدة تستبدل بالقديم جديداً، وذلك بالاعتماد على المنجزات العلمية والعقلية والثقافية في جميع الحضارات، مع تجاوز التقاليد والأعراف الموروثة)[٢]

٣-وقيل: هو(حالة خاصة للفكر مصحوبة بنمط خاص للمجتمع الذي يمثله الغرب الحديث)[٣]

٤-وقيل: هو(الصراع بين النظام القائم على السلفية، وبين الرغبة العاملة لتغيير هذا النظام)[٤]

---

[١] الحداثة من منظور إيماني، د/ عدنان علي رضا النحوي ص٢٩ ط دار النحوي للنشر والتوزيع بالرياض ط ثالثة ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

[٢] الحداثة وما بعد الحداثة، د/ عبدالوهاب المسيري، د/ فتحي التريكي ص٢١٢ ،٢١٣ بتصرف يسير، ط دار الفكر بدمشق سوريا، ودار الفكر المعاصر بيروت لبنان ط ثالثة١٤٣١هـ٢٠١٠م.

[٣] إعادة التفكير في الحداثة- نزعة ما بعد الاستعمار، تأليف/جير مندرك باميرا، ترجمة/ إبتسام سيد علام،حنان محمد حافظ، ، مراجعة/أحمد زايد ص١٣ ط المركز القومي للترجمة تحت إشراف د/جابر عصفور ط أولى ٢٠١٦م.

[٤] الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب- صدمة الحداثة، تأليف/ أدونيس ص٩ ط دار العودة ببيروت ط أولى ١٩٧٨م.

٥-وقيل:هو(تيار عصري يركز اجتهاده على تغيير وتجديد البنية الفكرية والثقافية كأساس للتحديث الشامل)[١]

٦-وقيل: هو(فكر يدعو إلى سحق الأخلاق والعادات والأعراف النبيلة بدعوى الحرية والديمقراطية وبناء الشخصية المستقلة)[٢]

٧-وقيل: هو(قطع الصلة بالتراث وطلب الجديد)[٣]

وخلاصة القول في ذلك: أنه بالرغم من تعدد تعريفات العلماء والباحثين حول مصطلح الفكر الحداثي، إلا أنهم متفقون فيما بينهم على عناصر مشتركة ومظاهر واضحة، فهو في صورته العامة يرمز إلى مذهب فكري علماني استمد أصوله ومناهجه من فلسفات غربية خالصة، كما يدعو لهدم كل الموروثات، والتمرد على القيم والأخلاق والمعتقدات، وتبني الرغبات الفوضوية ومحاكاة النمط الغربي باعتباره نقطة انطلاق إلى النهضة المنشودة والنموذج التقدمي.

---

[١] الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر، تأليف/ عبدالرحمان اليعقوبي ص٨ الناشر مركز نماء للبحوث والدراسات بيروت لبنان ط أولى ٢٠١٤م.

[٢] الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية- انهيار دعاوى الحداثة، للأستاذ/عزت السيد أحمد ص١٠٢ الناشر دار الفكر الفلسفي للدراسات والترجمة والنشر دمشق ط ثانية ١٩٩٩م.

[٣] روح الحداثة- المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، للأستاذ/طه عبدالرحمن ص٢٣ الناشر المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء بالمغرب ط أولى ٢٠٠٦م.

المبحث الأول

أهم مبادئ الفكر الحداثي وأسباب انتشاره وآثاره

إن الحكم على أي مذهب أو فكر لا يتأتى إلا من خلال معرفة بمبادئه وأصوله التي يقررها دعاته، وليس من مجرد ألفاظ لها مدلولات لغوية تحمل صيغاً جمالية أو إشارات بلاغية.

ولفظة "الحداثة" التي ترمز إلى هذا الفكر الحداثي، من الألفاظ التي ينبغي أن نقف أمامها بتأمل وتدقيق نظر، وذلك من خلال التأمل في مبادئ وأصول هذا الفكر الحداثي، حتى نكون على دراية كاملة بهذا الفكر، ولا نخدع بشعارات براقة ظاهرها الخير والنور وباطنها الزيف والضلال.

هذا وسوف ينتظم الحديث في هذا المبحث حول ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهم مبادئ الفكر الحداثي.

المطلب الثاني: نشأة الفكر الحداثي وأسباب انتشاره.

المطلب الثالث: أبرز آثار الفكر الحداثي.

فأقول وبالله التوفيق ٠٠٠٠٠

المطلب الأول:أهم مبادئ الفكر الحداثي:

إن المتتبع لمسارات أي فلسفة أو مذهب فكري، نجد أنه لا يمكن أن يقوم إلا على أسس ينطلق منها ومبادئ يقوم عليها.

ومن أهم مبادئ الفكر الحداثي التي انطلق منها وارتكز عليها، ما يلي:-

١-المناداة بالحرية المطلقة:

إن كلمة الحرية من الكلمات البراقة التي أصبحت تستخدم على نطاق واسع خاصة في هذا العصر الحاضر، حتى بات من أراد أن يلفت الأنظار إليه ينادي بالحريات ويرفع شعاراتها، وكأنها من مكتسبات الحياة أو من تفضل الإنسان على أخيه الإنسان، مع أنها من أهم أساسيات الحياة وأوجب حقوق الإنسان وضروريات حياته وإنسانيته، ولذا جاءت بها جميع الرسالات السماوية.

فالحرية في الإسلام مثلاً (هي واحدة من أهم الضرورات وليس فقط من الحقوق اللازمة لتحقيق إنسانية الإنسان،فالإسلام يجعل الحرية هي الشيئ الذي يحقق معنى الحياة للإنسان، فبها حياته الحقيقية وبفقدها يموت، حتى ولو عاش يأكل ويشرب ويسعى في الأرض كما هو حال الدواب والأنعام)[١]

والإسلام حين يعطي هذه الحرية ويمنحها للإنسان، فإنه يحميها في نفس الوقت من كل عبث وضلال، وذلك من خلال ضوابط وتشريعات تنظم

---

[١] الإسلام وحقوق الإنسان- ضرورات لا حقوق د/ محمد عمارة ص١٨ بتصرف يسير، من سلسلة عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب بالكويت عدد ٨٩ شهر شعبان ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

هذه الحقوق وتحفظ حرمتها، حتى لا تنقلب هذه الحرية إلى فوضى تضر بالفرد والمجتمع على حد سواء.

إذن فقضية الحرية هي من أساسيات الحياة التي لا يعارضها دين ولا يرفضها منطق، إلا أننا نجد الحرية عند أصحاب الفكر الحداثي ذات مفهوم خاص ودلالة معينة، حيث تطلق ويراد بها عندهم الحرية المطلقة في التفكير وإطلاق العنان للشهوات والغرائز، بلا رادع من دين أو زاجر من خلق.

فالحرية المطلقة التي ينادي بها أصحاب الفكر الحداثي، تعني (تحطيم الأطر التقليدية، وتبني رغبات الإنسان الفوضوية التي لا يحدها حد، كما أنها تعني شغف بالمجهول يحطم الواقع ويدمره، ولكن لا ينقلك إلى واقع أفضل إلا في أنماط السكر وغيبوبة المخدرات وأحلام السكارى)[1]، مما أدى إلى ظهور الكثير من الأمراض المجتمعية كاللواط والسحاق والانتحارات، وأنواع شتى من السفور والتبرج والإباحية المفرطة، ناهيك عن الأمراض الفكرية المتمثلة في التطاول على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بحجة حرية التعبير والفكر.

ومن هنا نرى أن الحرية المنفلتة من كل القيود الدينية والأخلاقية هي مبدأ أصيل من أهم مبادئ وأسس الفكر الحداثي،، تتيح التفكير في كل شيئ واقتحامه، والحكم عليه بسلطان العقل والفكر، وكذا حرية البحث في كل شيئ وفي أي مجال بلا ضابط ولا حاجز، وبالتالي باتت هذه الحرية المطلقة وغير المشروطة، مدمرة للشعوب والمجتمعات، حيث ارتكب

[1] الحداثة في منظور إيماني د/عدنان علي رضا النحوي ص٢٩ ،٣٠ بتصرف يسير مرجع سابق.

الحداثيون باسم هذه الحرية المطلقة جرائم عديدة، كالعبث بالأخلاق، وإباحة الشذوذ الجنسي، وعقد المؤتمرات العالمية التي تنادي بإلغاء الفوارق مطلقاً بين الرجل والمرأة، إلى غير ذلك مما يعرفه القاصي والداني.

٢-الصراع بين القديم والجديد:

يعمل الحداثيون جاهدين إلى تغيير التراث الإسلامي وعلى رأسه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، إلى مبادئ وعقائد وقيم حداثية جديدة، من خلال ما يسمى بالصراع المستمر بين القديم والحديث، (حيث ربط الحداثيون تقدم العلم بنقد عقائد الماضي)[١]، مما شكل صراعاً عميقاً ومستمراً بين القديم بثوابته وعقائده وقيمه، وبين الحديث بانحداره وانحلاله وسيئ أخلاقه.

(فالفكر الحداثي اليوم هو مسار يقوده الشرك بعيداً عن الإيمان والتوحيد والنبوة والوحي، بعيداً عن منهاج الله ونوره وضيائه)[٢] ، فهو إذن ثورة على كل قديم وثابت، ويسعى إلى النفور من كل موروث في العقائد والفكر والأخلاق.

---

[١] نقد الحداثة: ألان تورين، ترجمة/ أنور مغيث ص٢٠٥ ط المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٧م.

[٢] الحداثة في منظور إيماني د/عدنان علي رضا النحوي ص٥٠ مرجع سابق.

٣-الدعوة إلى ضرورة التحول والتطور في كل شيئ بصفة مطلقة:

إن من أسس الفكر الحداثي وأصوله الرئيسة الدعوة إلى ضرورة التطور والتحول من المبادئ والأفكار القديمة إلى أفكار ورؤى حداثية جديدة حول الإله والكون والإنسان وسائر الأشياء بلا حواجز أو موانع.

(فالحياة في نظر الحداثيين ما دامت متطورة ومتغيرة، فلا بد من استمرارية التحول والتطور في العقائد والأحكام والقوانين والقيم)[١]

وبالتالي أصبحت أحكام الشريعة الإسلامية برمتها خاضعة للتحول والتطور والتغيير والتبديل بما يتناسب مع الحضارة الحديثة- بحسب زعم أصحاب الفكر الحداثي، بل أصبح الأمر أخطر من ذلك، من خلال التصريح بعدم صلاحية العمل بالشريعة الإسلامية في ظل العصور الحديثة.

يقول الحداثي المغربي د/ عابد الجابري*[٢]:

(إن المناداة بتطبيق الشريعة الإسلامية كان دائماً شعار الحركات الإصلاحية في التاريخ الإسلامي، أما اليوم فالأمر يختلف تماماً، فالحياة المعاصرة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية تختلف اختلافاً

---

[١] الحداثة في العالم العربي- دراسة عقدية ص١١٦٣ رسالة دكتوراة، إعداد/محمد بن عبدالعزيز بن أحمد العلي، إشراف د/ ناصر بن عبدالكريم العقل، نوقشت بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤١٤هـ.

[٢] هو مفكر وفيلسوف عربي من المغرب، واسمه محمد عابد الجابري، له ثلاثون مؤلفاً في قضايا الفكر المعاصر أبرزها"نقد العقل العربي" (راجع موقع: httpsll m.facebook.com)

جذرياً عن نمط حياة السلف، وبالتالي فالإصلاح يتطلب إعادة النظر إلى هذه الأصول بفكر جديد متفتح)[1]

أي الفكر الحداثي ذو الخلفية الغربية الإلحادية الذي يدعو إلى التحول والتطور حتي في الثوابت والعقائد بطريقة مطلقة.

٤-التلاقح الفكري بين الثقافات بعيداً عن الأديان والمعتقدات الإسلامية:

إن أصحاب الفكر الحداثي يدعون إلى ما يسمى بالتلاقح الثقافي والفكري بين الفلسفات والمذاهب المختلفة، شريطة أن يكون الجامع بينها هو التحديث والثورة على الثقافة الدينية الموروثة لاسيما في الإسلام خاصة، وشعارهم في ذلك مواكبة العصر وحركة التقدم والتطور بعيدا عن رجعية الأديان وتخلف كل قديم وموروث على حد زعمهم.

فالحداثيون يرون أن الفلسفة الحداثية هي (انتفاضة ذات طابع عالمي ضد مخلفات الماضي، انتفاضة ذات أفكار وأشكال وقيم بارزة انتشرت من قطر إلى آخر لتصب في نهاية المطاف في التراث الغربي)[2]

فهي انتفاضة على كل الأديان وخاصة الدين الإسلامي الحنيف بقيمه ومبادئه.

---

[1] التراث والحداثة- دراسات ومناقشات /محمد عابد الجابري ص١٠ ، ١١ باختصار مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط أولى ١٩٩١م.

[2] الحداثة والتراث/ محمد مصطفى هدارة ص٢٨ ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦هـ.

٥-رفض مصادر الإسلام وكافة الغيبيات:

إن من أخطر مبادئ الفكر الحداثي هو الثورة على مبادئ الإسلام ورفض مصادره وذلك من خلال الطعن فيها وإثارة الشبهات حولها بهدف زعزعة ثقة الناس في دينهم وعقيدتهم.

فأصحاب الفكر الحداثي يسعون دائماً إلى هدم المصادر الإسلامية للمعرفة وعلى رأسها الكتاب والسنة، والتعويض عنها بمصادر معرفية حديثة يكون الإنسان نفسه هو مصدرها ومحركها ومفجرها، وبالتالي يتم التغاضي عن التحاكم إلى الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم- إلى ما ينتجه الإنسان بفكره وعقله.

يقول الحداثي الشهير "أدونيس"*[١]:

(لا يقدر الشعر أن يتفتح ويزدهر إلا في مناخ الحرية الكاملة، حيث الإنسان هو مصدر القيم لا الآلهة ولا الطبيعة، بل الإنسان وحده فقط هو الكلي على الإطلاق والحقيقة)[٢]

ومقصدهم الأساسي من كل ذلك هو هدم الدين باسم النقد ومحو الإسلام باسم الإبداع.

---

[١] *هو شاعر سوري لبناني واسمه علي أحمد سعيد إسبر ، ولد في قرية قصابين التابعة لمدينة جبلة في سوريا في ١ يناير ١٩٣٠م، وتبنى اسم أدونيس الذي خرج به على تقاليد التسمية العربية منذ عام ١٩٤٨م "تيمناً بأسطورة أدونيس الفينيقية إحدى آلهة اليونان القديمة"، وهو أشهر دعاة الفكر الحداثي راجع موقع (www.onefineart.com)

[٢] الأدب العربي المعاصر أعمال مؤتمر روما ص١٨٢ ط منشورات أضواء باريس ط أولى ١٩٦٢م.

وهكذا يتم استغلال فكرة الحداثة لرفض مصادر الدين والعقيدة الإسلامية لتتلائم مع العقلية الحداثية الملحدة ، والتي لا يمكن للمسلمين أن يتعايشوا معها إلا بالتخلي عن المصادر المعرفية الإسلامية ، والإيمان بالإبداع والتحديث الذي يقره الفكر الحداثي.

٦-رفع شعار "العقلانية":

ويقصد بالعقلانية كأساس من أسس الفكر الحداثي، احتكام الإنسان إلى العقل في كل ما يحيط به، وإعلاؤه على أي مصدر آخر من مصادر المعرفة، (فهي تعني بناء مفهوم جديد للعقل داخل الفكر العربي، وتكريس المنهج العقلي في دراسة التاريخ وقراءة التراث)[١]

وإذا كان العقل في الإسلام يمثل قوة ربانية يسرها الله للإنسان ليميز بها بين الخير والشر والحق والباطل، فالعقل في الفكر الحداثي (ملكة معرفية متعالية عن التاريخ مفارقة له، فقد ارتبط ميلاد هذا العقل الناضج-بحسب زعمهم- بمنشأ الحداثة نفسها، أي بالتحول من العصور الوسطى إلى الأزمنة الحديثة)[٢]

ولما كان العقل، من القصور بمكان بحيث لا يسعه معرفة كل الأمور والبحث في جميع الأشياء، كان الوحي الإلهي هو الضابط لهذا العقل، والبوصلة التي تحدد له الاتجاه الصحيح والمسار الذي ينبغي التوجه إليه، وهذا بخلاف المذاهب الوضعية وعلى رأسها الفكر الحداثي الذي يعطي

---

[١] الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر-محمد أركون-محمد الجابري-هشام جعيط، تأليف/عبدالرحمان اليعقوبي ص١١ مرجع سابق.

[٢] فلسفة الحداثة في فكر هيغل د/محمد الشيخ ص٢٦٢ ط الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت ط أولى ٢٠٠٨م،

السلطة المطلقة والمرجعية الدائمة للعقل في معرفة الأمور وكافة الأشياء، حيث (حققت الحضارة الحديثة نجاحاً واضحاً في إحلالها للمعايير العقلانية محل كافة المعايير الأخرى باعتبارها معايير لا عقلانية)[1]

وبناء على هذا المبدأ عندهم فإنهم يضعون أحكام الشريعة الإسلامية في ميزان العقل،فما وافق منها العقل يقرونه ويأخذون به وما خالفه يرفضونه ويتركونه.

وبعد، فحسبنا هنا إشارة سريعة إلى أهم مبادئ الفكر الحداثي ذكرناها بإيجاز على سبيل المثال وليس الحصر لتقريب المعنى حول ماهية الفكر الحداثي من خلال بعض مبادئه وأصوله.

[1] الحداثة والهولوكوست تأليف/ زيجمونت باومان، نقله إلى العربية/ حجاج أبو جبر، دينا رمضان ص٢٩٥ ط مركز مدارات للأبحاث والنشر بالقاهرة ط أولى ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

المطلب الثاني: نشأة الفكر الحداثي وأسباب انتشاره:

من المعلوم أن الحداثة في أهم مقاصدها تعني الانحراف عن الإيمان بالله تعالى وتوحيده إلى الشرك والإلحاد، وهذا الانحراف عن منهج الله تعالى قديم في حياة الناس بعد أن كانوا أمة واحدة فبعث الله إليهم الرسل والأنبياء ليرشدوهم إلى الطريق المستقيم ويردوهم عن كفرهم وضلالهم، قال تعالى: (كان الناس أمة أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)[1]

وقد ظل هذا الانحراف في أزمنة الناس يتمدد بصور شتى حتى وصل إلى العصر الحديث، فامتزج به الانحلال الخلقي والشتات الفكري أكثر من غيره من العصور السابقة فأنتج ما يعرف اليوم بالفلسفة الحداثية، التي تعددت آراء الباحثين حول نشأتها

(فيرى بعض الباحثين أن ولادة الحداثة في العصر الحديث كان في باريس عام ١٨٣٠م. وما بعدها ، ويرى آخرون أن بداية الحداثة كان في السبعينيات من القرن التاسع عشر، ويرى فريق آخر أن السنوات العشر الأولى من القرن العشرين تمثل البدايات الحقيقية للفكر الحداثي، وقيل: إن فترة نشاط الفلسفة الحداثية هي الفترة الممتدة من عام ١٩١٠م إلى بداية الحرب العالمية الأولى)[2]

بينما يرى الحداثي أدونيس (أن البذور الثقافية الأولى لاتصال العرب بالغرب الأوروبي تاريخياً تمثلت في ظاهرتين: الأولى:الحضور الفرنسي

---

[1] سورة البقرة:آية ٢١٣

[2] الحداثة في منظور إيماني د/عدنان علي رضا النحوي ص٥٠-٥١ باختصار مرجع سابق.

في القاهرة بين ١٧٩٨- ١٨٠٥م الذي لم يؤثر في طراز التفكير فحسب وإنما أثر كذلك في طراز الحياة كلها، والثانية: البعثات إلى الخارج بدءاً من ١٨٢٦م، وكان رئيس البعثة الأولى إلى فرنسا والتي أمضت بها خمس سنوات "رفاعة الطهطاوي" ، الذي تعلم وأتقن خلالها اللغة الفرنسية، وتبلورت عنده أفكار جديدة عرضها في بعض مؤلفاته بعد عودته، وأهمها كتاباه الأساسيان "تخليص الإبريز في تلخيص باريز ١٢٠٥هـ ١٨٣٤م" ، "مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية ١٢٨٧هـ ١٨٧٠م")[١] ، إلى غير ذلك من الآراء المتعددة.

وخلاصة القول في ذلك: أن من الصعوبة بمكان التحديد الدقيق للعام الذي نشأ فيه الفكر الحداثي، وكل ما ذكر في هذا الشأن لا يعدو كونه اجتهاداً يعرض الباحث من خلاله الفترة التاريخية أو الحدث التاريخي الذي ربما يكون منطلقاً لنشأة الفكر الحداثي من وجهة نظره.

ويمكن القول بأن الفكر الحداثي قد مر بمحطات متعددة بدأت من عصور قديمة، حتى ظهر بصورته الحالية في العصر الحديث، وأصبح له دعاته الذين أخذوا من آلات العصر الحديث ووسائله ما ساعدهم على ذيوعه وانتشاره، هذا بالإضافة إلى عدة أسباب ساعدت في نشأة الفكر الحداثي وانتشاره ومن أهمها ما يلي:-

[١] الثابت والمتحول- بحث في الاتباع والإبداع عند العرب- صدمة الحداثة ص٣٥ مرجع سابق.

١-ظلم رجال الكنيسة وفسادهم في أوربا:

لا شك أن الحداثة تشكل انعكاساً للتيه الذي دخلته اوروبا بسبب سيطرة الكنيسة وفسادها منذ العصور الوسطى حتى العصور الحديثة، (فالحداثة قد قامت على أنقاض الإرث الكنسي، حتى إنها اقترنت في الأذهان بنبذ الدين كلية)[١]

فالفساد بكل أنواعه بالإضافة إلى التعذيب الذي كانت تنتهجه الكنيسة ضد مخالفيها قد أنتج رد فعل عنيف عند الناس، تمثل في كراهية أي معتقدات دينية في معرض الكراهية للكنيسة ورجالها، مما جعل الناس ينتظرون الخلاص من سلطة الكنيسة بأي وسيلة نتيجة ما لاقوه من قسوة وتعذيب واضطهاد.

فالقسوة في حد ذاتها هي حالة اجتماعية أكثر من كونها سمة من سمات الشخصية وبالتالي نلاحظ أن بعض الناس ربما يتصرفون بقسوة وكراهية شديدة ضد الآخرين إذا ما وضعوا في محيط ينزع عنهم سلطة القيم الأخلاقية ويضفي عندهم شرعية على التجرد من الإنسانية، فكان أن كفر الإنسان الأوربي بكل الأديان في معترك كفره بالكنيسة ورجالها.

(فالحداثة في أوروبا قد نشأت في أجواء من الظلم والاضطراب، شأنها في ذلك شأن بقية المذاهب الفلسفية والأدبية التي كان ظهورها في أوربا أشبه بردود الفعل، ولم تكن أبداً تمثل حركة نمو طبيعي، وكان كل مذهب يحمل في ذاته بذور سقوطه ليقوم مكانه مذهب جديد آخر يعارضه أو

[١] روح الحداثة-المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية للأستاذ/طه عبدالرحمن ص٦١ الناشر المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء بالمغرب ط أولى ٢٠٠٦م.

يناقضه، فكانت هذه المذاهب الفلسفية والأدبية لا تمثل في حياة الإنسان خطأً نامياً مستمراً كما تمثل دعوة الإيمان والتوحيد)[1]

إذن فسيطرة رجال الكنيسة وفسادهم في أوروبا وانتهاجهم للتعذيب ضد مخالفيهم ناهيك عن نهب أموال الناس وثرواتهم تحت مسميات الهبات وصكوك الغفران وغيرها قد أنتج أرضاً خصبة لإنتاج وقبول وانتشار الفكر الحداثي.

٢-سيطرة النزعة الاستعمارية بين الشعوب:

لا شك أن هناك علاقة واضحة بين الاستعمار وسياسات إنتاج المعرفة، خاصة في العصور الحديثة، فالفكر الاستعماري يسعى دائماً إلى إنتاج أشكال خاصة للمعرفة تتوافق مع سياساته وأهدافه الإستعمارية، يقابله تهميش متعمد لكل مصادر المعرفة، خاصة فيما يتعلق بالوحي والرسالة في الإسلام، فبعد أن انهزم الغرب في حروبهم الصليبية على العالم الإسلامي بدأ يعيد حساباته ويخطط للغزو والاحتلال مرة أخرى، ولكن بطريقة جديدة واستراتيجية مختلفة عن الماضي من خلال نشر الفلسفة الحداثية بين الشعوب الإسلامية لتقوم بدور التمهيد بل المبشر بالاستعمار الغربي الذي يخرج الأمة الإسلامية والعربية من كبوتها وتخلفها إلى نور العلم والتكنولوجيا وحقوق الإنسان-بحسب زعمهم- ، حيث (احترفت مؤسسات الهيمنة الغربية الدينية والسياسية، صناعة الصور المزيفة للإسلام وأمته وحضارته ورموزه ومقدساته لتشحن شعوبها بكراهيته، في خضام صراعها التاريخي الصليبي والحديث لإعادة اختطاف الشرق من

[1] الحداثة في منظور إيماني د/عدنان علي رضا النحوي ص٣١ مرجع سابق،

التحرير الذي صنعته الفتوحات الإسلامية، ولتصور لشعوبها الغزو والاستعمار في صورة الرسالة النبيلة التي يقوم بها الرجل الأبيض لتمدين المسلمين المتخلفين)[1] ، فالغرب الذي خرج يسعى وراء الهيمنة والسيطرة على الشعوب العربية والإسلامية لم يخرج بجيوشه فحسب، وإنما (تدافع مع المستعمرين فيالق من المنظرين أخذت على عاتقها إنتاج شروط تأبيد الهيمنة عبر تكريس الاعتقاد بتفاهة الثقافات المحلية وافتقادها لأية قيمة من ناحية، والتأكيد على تفوق الثقافة الأوروبية وفاعليتها من جهة، وأهليتها للاقتداء والتأسي بها من جهة أخرى، ولقد كان ذلك هو التوطئة اللازمة لعملية إحلال ثقافي لم تزل تمضي إلى الآن)[2]

فسيطرة النزعة الاستعمارية من الغرب تجاه الشعوب الإسلامية كانت وما زالت من أهم الأسباب التي دفعت الغرب إلى دعم ونشر الفكر الحداثي لدى المسلمين.

---

[1] الفتوحات العربية الكبرى فيزان الإسلام والتاريخ– دراسة نقدية لآراء الجنرال جلوب، تأليف/ لواء أركان حرب متقاعد د/محمد بهاء الدين حنفي، تقديم أ.د/محمد عمارة، إشراف أ.د/محيي الدين عفيفي أحمد ، أمين عام مجمع البحوث الإسلامية ص١١ ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، من سلسلة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، السنة التاسعة والأربعون ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م.

[2] لعنة الحداثة بين الجنرال والباشا د/ علي مبروك ص١٨٢ ط رؤية للنشر والتوزيع بالقاهرة ط أولى ٢٠٠٦م.

٣-التطور في مجالات العلوم الحديثة بالتوافق مع الضعف الذي لحق بالمسلمين:

عرف العصر الحديث بأنه عصر التكنولوجيا والتطور في المجالات العلمية الحديثة وقد كان لهذه النهضة الحديثة في أوروبا الأثر الواضح في انتشار الفكر الحداثي وانبهار الناس به، اعتقادا منهم بأن هذا الفكر الحداثي من أهم آثار النهضة الحديثة أو كون هذه النهضة الحديثة من آثاره ونتائجه، حيث (عرف عصر النهضة على نطاق واسع بأنه كان مبشراً بميلاد أوروبا الحديثة، إذ أن التطورات والابتكارات في مجال العلوم والفنون قد ساهمت في التصور الذاتي لهذا العصر على أنه عصر حديث)[١]

فالتطور الذي شهدته أوربا في المجالات العلمية والصناعات الحديثة بالتزامن مع الضعف الذي لحق بالمسلمين في شتى المجالات، قد أدى إلى انبهار البعض ببريق الحضارة الغربية حباً فيها، أو التقليد والتبعية من البعض الآخر لما يحس به من انتكاسة وانهزامية نفسية تجعله ينقاد طوعا أو كرهاً في تقليد الغالب ومحاكاته له في ثقافته وفلسفته لجبر ما يحس به من ضعف الشخصية أمامه.

[١] إعادة التفكير في الحداثة- نزعة ما بعد الاستعمار تأليف/جيرمندرك بامبرا، ترجمة/ إبتسام سيد علام، حنان محمد حافظ، ، مراجعة/ أحمد زيدان ص١٣١ مرجع سابق.

٤-سيطرة النخب الحداثية على وسائل الإعلام:

في ظل هذا النظام الحديث الذي تحكمه الدعايات ووسائل الإعلام، فقد شن الفكر الحداثي حرباً شعواء ضد كل موروث وقديم، وروج لفكره الحداثي تحت شعارات التجديد ومواكبة التطور.

وفي ظل هذا النظام القائم على الصراع بين المبادئ الأخلاقية وبين الأفكار الحداثية فقد استطاع أرباب الفكر الحداثي أن يلبسوا الباطل ثوب الحق، فجعلوا السلوك غير الأخلاقي أكثر قبولاً في دنيا الناس، (حيث ظل الغرب يروج صورة أسطورة على أن العالم بدون معرفة حداثية هو عالم تحكمه شريعة الغاب أو قانون القوة)[١]

حتى استطاعت هذه الوسائل الإعلامية أن تلعب دوراً خطيراً في قلب الحقائق وتزييف الأمور، فنشروا التبرج والإباحية، ونادوا باختلاط الرجال بالنساء وشجعوا على الشذوذ والفجور إلى غير ذلك، تحت مسميات الحرية الشخصية، وتحرير المرأة، والمرأة العصرية وغيرها من شعارات الفكر الحداثي الخبيث

وكانت المؤسسات الإعلامية بأنواعها لها أثرها الفعال في سلوك الأفراد وتوجهاتهم ، ولذا سعت النخب الحداثية إلى السيطرة على وسائل الإعلام لمحاولة التأثير على أفكار الناس وسلوكهم من خلالها، لما تحدثه في نفوسهم من سحر مستمر وتأثير لا يرد أو يقاوم، فهي عميقة التأثير في الشعوب خاصة عند عوام الناس من ذوي الفكر الضعيف والثقافة المحدودة

[١] الحداثة والهولوكوست تأليف/ ريجمونت باومان ص٣٠١ مرجع سابق

يقول الدكتور/محمد سبيلا ما ملخصه:

(إن تاريخ الأمم هو تاريخ النخب، فالمجتمعات لا تسيرها الجماهير، وذلك على الرغم من شيوع المقولة الماركسية المتعلقة بالجماهير، فهذه تقاد ولا تقود، فالنخب وخاصة النخب الثقافية والسياسية هي التي تقود التغيير، فعندما تكون هاتان النخبتان مقتنعتين بشكل جذري بالحداثة والتحديث، فالمجتمع يقاد ويقتاد عبر نخبه)[1]

ولذا اهتم أصحاب الفكر الحداثي بوسائل الإعلام المتنوعة في نشر مذهبهم، حتى أصبحت هذه المؤسسات الإعلامية وما تقوم به من دعايات كاذبة ومضللة من أهم أسباب انتشار الفكر الحداثي.

٥-الثورة الفرنسية:

من المعلوم جلياً أن الثورة الفرنسية قد أحدثت انقلاباً جذرياً على سلطة الكنيسة في أوربا، مما جعل البعض ينظر إلى الثورة الفرنسية باعتبارها أساس نشأة الفكر الحداثي، من خلال ما أنتجته من أفكار وما أحدثته من جديد.

يقول الدكتور/ محمد الشيخ "ما ملخصه":

[1] دفاعاً عن العقل وعن الحداثة د/ محمد سبيلا ص٨٨ ط دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ط أولى ١٩٨٥م، وأيضا مدارات الحداثة د/ محمد سبيلا ص١٢ بتصرف ط الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت ط أولى ٢٠٠٩م.

لقد ادعى الثوار أيام الثورة الفرنسية أنهم أرادوا دولة وضعية قائمة على المساواة، الشأن فيها أن تلغى كل الفروق والاختلافات في المواهب، بالإضافة إلى السلطات الموروثة من النظام القديم[1]

ويقول أيضاً: والشأن أن يقول الشخص إن حريتي معناها قدرتي على أن أحرر نفسي من كل أمر وأن أتخلى عن كل غاية، وأن أتجرد من كل شأن، فما من قانون يلزمني، وما من مؤسسة تحكمني، وما من مبدأ صاغه الآخر إلا نبذته هذه الحرية المطلقة[2]

وبالتالي وقع العالم الغربي في تيه الفكر الحداثي بعد الظلم والاستبداد الذي لحق به من ظلم الكنيسة في العصور الوسطى، فكانت الثورة الفرنسية بمثابة طوق النجاة ومهدت لكل الفلسفات البشرية وعلى رأسها الفكر الحداثي.

[1] فلسفة الحداثة في فكر هيغل د/ محمد الشيخ ص٤٠٦ مرجع سابق،

[2] فلسفة الحداثة في فكر هيغل د/ محمد الشيخ ص٤٠٥ مرجع سابق،

المطلب الثالث:أبرز آثار الفكر الحداثي:

لا شك أن الفكر الحداثي بمبادئه وأصوله يعد خطراً عظيماً على كيان الأمة الإسلامية، وقد أنتج آثاراً سيئة كثيرة على مستوى الأفراد والمجتمعات، وفيما يلي أبرز الآثار السلبية للفكر الحداثي نذكرها بإيجاز فيما يلي:

١-الانحراف العقدي والأخلاقي:

إن الفكر الحداثي- كما ذكرنا آنفاً- يشن حرباً شرسة ضد كل الموروثات والمعتقدات لاسيما الإسلامية منها، لأنه يهدف إلى إبعاد المسلم عن دينه وعقيدته، حتى يصبح الإنسان كالريشة في مهب الريح تسيرها الأهواء والشهوات حيث شاءت، وقد نتج عن ذلك مفاسد عظيمة أوجزها بعض الباحثين بقوله:

لقد اشتد كلف الإنسان في عهد النهضة الأوروبية بتبرير الشهوات ونبذ العقائد، والخروج على التقاليد المألوفة والمبادئ الموروثة، فأطلق الشهوات من عقالها، وتمرد على تقييد الحرية في مجال الأخلاق والآداب، وفي ميادين العلم والفن والفلسفة جميعاً، وأعلى صوت العقل على صوت الوحي، وبهذا كله اتسعت دائرة الخلاف بين فلسفة الماضي في العصر الوسيط وإباحة عصر النهضة[١]

مما أسفر عن العديد من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية الخطيرة، كالتفكك الأسري والخيانات الزوجية، وانتشار الشذوذ وغيره من

[١] قصة النزاع بين الدين والفلسفة د/ توفيق الطويل ص٨ مطبعة الاعتماد الناشر مكتبة الآداب بدون تاريخ.

السلوكيات المنحرفة، كما نادوا بالحرية المطلقة للمرأة، وبالمساواة التامة بينها وبين الرجل في كل شيئ.

ومن أقوال الحداثيين في ذلك: إن المرأة ليست كائناً ناقصاً، وعلى هذا يجب أن تتمتع باستقلاليتها وحريتها، فلا ارتقاء إلا إذا تحققت المساواة التامة بين الرجل والمرأة اهـ[1]

فالفكر الحداثي إذن كان من أخطر آثاره تلك الانحرافات العقدية والسلوكية، وما يعقبها من مشكلات اجتماعية نظراً لارتباط الفكر بالسلوك إيجاباً وسلباً.

٢-نشر القوانين الوضعية بديلاً عن الشريعة الإسلامية:

لقد عمد أصحاب الفكر الحداثي إلى الترويج لفكرة عدم صلاحية المعتقدات والشرائع الموروثة في واقع الحياة المعاصرة، تلك الحياة التي اعتمدت فقط كل جديد وحديث في الأفكار والمعتقدات ونبذ كل قديم وموروث، ولم يعترفوا بأي دين إلا باعتباره شعائر وطقوساً فقط تؤدى في الكنائس أو دور العبادات المختلفة، بعيداً عن التطبيق في واقع الحياة ومعزولاً عن القوانين التي تحكم سلوك الناس ،فتعالت أصوات الحداثيين الذين ينادون بسن القوانين الوضعية وجعلها بديلاً عن الشريعة الإسلامية التي لا تصلح لدنيا الناس في العصور الحديثة بحسب زعمهم المريض.

وقد أدى القول بذلك إلى جعل المجتمع هو المعيار الأخلاقي الوحيد الذي يعرفه القانون ويعترف به، مما أدى إلى رفض الشريعة الإسلامية

[1] الثابت والمتحول- بحث في الاتباع والإبداع عند العرب صدمة الحداثة، تأليف/ أدونيس ص٦٣ مرجع سابق.

واستبدالها بالقوانين الوضعية، التي أدت إلى التفكك الأسري وفساد المجتمعات، حتى أصبحت العلاقات الشاذة والمحرمة أمرً مباحاً ومشروعاً يحميه القانون في المجتمعات الأوربية تحت مسمى الحرية الشخصية، كا أبان ذلك الدكتور/ محمد البهي-رحمه الله بقوله-:

لقد شاعت المعاشرة الجنسية قبل الزواج بين الشباب والشابات منذ سن مبكرة في مرحلة المراهقة بما يعرف بالتجربة الجنسية قبل الزواج، وأصبح هذا عرفاً في المجتمعات الصناعية في روسيا وأوروبا وأمريكا وغيرها، إلى درجة أن أصبح فيها حمل البنات غير المتزوجات في البلاد الأوروبية ومتوسط السن للأمهات غير المتزوجات هو السادسة عشر من العمر ا هـ[1]

وكل هذا بسبب هذه الأفكار الحداثية التي تدعو إلى تنحية تطبيق الشريعة الإسلامية عن حياة الناس واستبدالها بالقوانين الوضعية.

٣-الاضطرابات النفسية وفقدان الأمن الروحي والاجتماعي:

من المعلوم جلياً أن الإيمان بالله تعالى يورث صاحبه قوة معنوية تمنع عنه الخوف والاضطراب، كما قال سبحانه: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)[2].

[1] الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر، مشكلات الأسرة والتكافل د/محمد البهي ص٢٦ الناشر مكتبة وهبة ط ثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[2] سورة فصلت: آية ٣٠ .

يقول الدكتور/محمد عبدالله الشرقاوي:

إن شعور المؤمن بأن يد الله معه، وأن عنايته تسير بجانبه، وأنه ملحوظ بعينه التي لا تنام، يطرد عنه شبح الوحدة المخيف، ويزيح عن نفسه كابوسها المزعج الرهيب ا هـ[1]

لقد أدى انتشار هذا الفكر الحداثي في المجتمعات الأوروبية التي انطلق منها ثم وجد قبولاً في المجتمعات العربية والإسلامية التي ارتحل إليها إلى خواء روحي نتج عنه الكثير من ظواهر القلق والاضطرابات النفسية والاجتماعية، وذلك من خلال: صدمات نفسية عنيفة أحدثت مظاهر شتى من الأمراض النفسية، والقلق والاضطراب، والحيرة والشك، يغذي ذلك كله الظلم الممتد، والجشع الواسع، والعدوان المنتشر، والاستغلال الطاغي في الاقتصاد والسياسة والمبادئ، حتى أصبحت كل هذه الاضطرابات من خصائص الحداثة ا هـ[2] ، ناهيك عن كثرة ظواهر الانتحار في تلك المجتمعات نتيجة انعدام أثر الإيمان بالله تعالى في قلوب الناس، حيث انتشرت الأفكار الوضعية والنظريات الفلسفية الكثيرة التي تتفق جميعها في الغايات والأهداف الإلحادية،-ويخشى أن ينتقل إلى المجتمعات العربية والإسلامية- حتى أصبح الإنسان عبداً لهواه تسيره الأهواء والشهوات، فحدث بذلك التيه الفكري والخواء الروحي.

---

[1] الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع د/محمد عبدالله الشرقاوي ص٣٦ الناشر مكتبة الزهراء ط أولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

[2] الحداثة في منظور إيماني د/عدنان علي رضا النحوي ص٦٥ مرجع سابق.

٤ -التعلق بالدنيا والانفصال عن الآخرة:

لما كان الفكر الحداثي لا يؤمن بأي أفكار لا تخضع لبرهان العقل وتجربة الحس فقد أنكر أو تناسى الغيبيات، مما جعل الناس يرتمون في زخارف المشاهدات وإيثار الدنيا على الآخرة بسبب جهلهم وفساد عقولهم.

يقول الإمام ابن القيم- رحمه الله- "ما ملخصه" :

أما إيثار الدنيا عن الآخرة فهو إما فساد في الإيمان وإما فساد في العقل وما أكثر ما يكون منهما، ولهذا نبذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهره هو وأصحابه، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدوها سجناً لا جنة فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا فيها إلى كل مرغوب، فآثروا بها، ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما اشتم الزيارة حتى أذن بالرحيل ا هـ[1]

والواضح أنه بالرغم من احتفاء الفكر الحداثي بشعارات خداعة كالمساواة بين البشر ومبادئ المواطنة وحقوق الإنسان وغيرها، إلا أن مبادئ الأخلاق وأصول العقيدة قد تغيرت مع انتشار الحداثة، حتى انتزعت من الإنسان إنسانيته وجعلته عبداً لهواه، ونصبته إلهاً زائفاً للكون، وجعلت نظرته دنيوية لا تتعداها، حيث:

[1] الفوائد للإمام/محمد بن أبي بكر أيوب أبي عبدالله بن القيم ص١٠٨ الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط ثانية ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

تجلت مساعي الحداثيين في اعتماد أمور ثلاثة وهي: أولاً:مبدأ التوجه إلى الإنسان بعيداً عن الإله، ثانياً:مبدأ التوسل بالعقل باعتباره هو السلطان الداخلي الذي يملكه الإنسان لإصدار أحكامه على جميع الأشياء بعيداً عن الوحي، ثالثاً:مبدأ الانفصال عن الآخرة والتعلق فقط بالدنيا ا هـ[1]، وبفضل هذا المبدأ الأخير تم التصدي للوصاية السياسية للكنيسة.

أما النظرة الإسلامية فهي تقوم على ألا يسرف الإنسان في المادية ولا يقلل من الروحية ولكنه يجمع بينهما، فيجعل جوهر الحضارة روحياً ومظهرها مادياً، وهذا المبدأ هو ما أرست قوائمه تعاليم القرآن، فهي تعاليم روحية في أساسها تنادي بأكرم الأخلاق وأحسن المثل، وفي نفس الوقت تسلم برفاهية العيش في هذه الحياة الدنيا[2]

فالفكر الحداثي بصدد إنكاره للغيبيات أدى بالناس إلى التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة بلا رادع من خلق أو زاجر من دين.

وبعد، فإذا كانت هذه أهم الآثار السلبية للفكر الحداثي، أرى لزاماً علي أن أفصح عن موقف الفكر الإسلامي منه كسبيل للوقاية من الوقوع في شباك الحداثة والحداثيين، الأمر الذي يستوجب بداية بيان موقفهم من المصادر الإسلامية، ثم الوقوف على أبرز الجوانب الوقائية من هذا الفكر الخبيث.

فأقول وبالله التوفيق .....

---

[1] راجع كتاب: روح الحداثة–المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية/ طه عبدالرحمن ص١٠١ مرجع سابق،

[2] انظر كتاب:الإسلام وقوانين الوجود د/محمد جمال الدين الفندي ص٢٤ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م.

المبحث الثاني

موقف الفكر الحداثي من القرآن الكريم وسبل التحصين الثقافي منه

لقد عمد أصحاب الفكر الحداثي إلى إعادة دراسة الأصول الإسلامية باعتبارها أموراً معرفية قديمة قابلة للتعديل والتغيير بعد نزع القداسة منها.

وعلى رأس هذه الأصول الإسلامية التي حاول الحداثيون النيل منها ونزع قدسيتها "القرآن الكريم"، ولذا كان لا بد من تسليط الضوء بشيئ من التفصيل على موقف الفكر الحداثي من القرآن الكريم وكيفية التحصين الثقافي منه.

ولذا سينتظم الحديث في هذا المبحث حول مطلبين هما:

المطلب الأول: موقف الفكر الحداثي من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: التحصين الثقافي من موقف الفكر الحداثي من القرآن الكريم.

المطلب الأول: موقف الفكر الحداثي من القرآن الكريم:

لقد أدرك أصحاب الفكر الحداثي أن أكبر عائق أمام انتشار الحداثة الغربية في البلاد الإسلامية يكمن في القرآن الكريم، لذا عمدوا بكل ما استطاعوا من قوة إلى نزع قدسيته للوصول إلى تفكيك وهدم النظرية المعرفية في الإسلام بمعاول الحضارة الغربية المعاصرة، وذلك بعد الترويج لفكرة ظنية ثبوت القرآن الكريم وحياً إلهياً ومن ثم إثبات بشريته.

ويمكن توضيح موقف الفكر الحداثي من القرآن الكريم بإيجاز من خلال ما يلي:

١-إنكار الوحي الإلهي وادعاء بشرية القرآن الكريم:

فالحداثيون ينزعون عن القرآن الكريم صفة القداسة ويرفضون اعتباره وحياً إلهياً من الله تعالى ويدعون بشريته٠

فتارة ينسبون القرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنه تجربه بشرية، ومن أقوالهم في هذا: إن القرآن ليس وحياً عن الله، ولكنه وحي عن الإنسان، لأنه يعبر عن تجربة محمد البشرية[١]

وتارة أخرى ينكرون الوحي من الأساس جملة وتفصيلا، ومن أقوالهم في هذا ما قاله الحداثي حسن حنفي في مقالة له تحت عنوان"الوحي والواقع دراسة في أسباب النزول": أما الوحي بالنسبة إلي، فإنني آخذه على سبيل الافتراض، أنا في رأيي أن الوحي هو افتراض في البحث العلمي[٢]

---

[١] انظر: الإسلام والحداثة د/عبدالمجيد الشرفي ص٨٩ ط الدار التونسية ط ثانية ١٩٩١م.

[٢] ندوة مواقف الإسلام والحداثة ص١٣٣ ط دار الساقي لندن ط أولى ١٩٩٠م.

وتارة أخرى يأولون الوحي إلى معنى العبقرية والموهبة، حيث: يرى الحداثي أن مفهوم الوحي المتداول والموروث عن التصور الديني التقليدي لم يعد من الممكن قبوله، وينبغي أن نستبدل به مفهوماً تأويلياً يستسيغه العقل، ويقضي هذا التأويل المعقول للوحي حمله على معنى الموهبة التي يختص بها الإنسان نبياً كان أو عبقرياً[1]

فهم بذلك يتمردون على عقيدة الإسلام الحنيف التي يعتبرونها العائق الأكبر أمام نهضة الشعوب وتجديد فكرها –على حسب زعمهم–.

٢–ادعاء عدم صلاحية القرآن الكريم في الواقع المعاصر:

فالحداثيون وهم بصدد رفضهم للقرآن الكريم وحياً إلهياً وادعاء بشريته يزعمون أيضاً أنه يمثل ثقافة قديمة بائدة وبالتالي فهو لا يصلح أن يكون مصدراً للمعرفة في العصر الحديث

فالقرآن الكريم في الفكر الحداثي حادث مخلوق، ارتبط إيجاده وإنزاله بحاجة البشر وتحقيقاً لمصلحتهم، وإن القول بقدم القرآن وأزلية الوحي يجمد النصوص الدينية، بينما معنى حدوث القرآن وتأريخية الوحي هو الذي يعيد للنصوص حيويتها[2]

---

[1] روح الحداثة–المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية /طه عبدالرحمن ص١٨٣ مرجع سابق.

[2] قضايا وشهادات/ نصر حامد أبو زيد، كتاب ثقافي دوري يقوم على هيئة تحريره عبدالرحمن منيف وجابر عصفور وآخرون العدد الثاني ص٣٨٩ مؤسسة عيبال للدراسات والنشر قبرص ط أولى ١٩٩٠م، وأيضا: مفهوم النص د/ نصر حامد أبو زيد ص١٠٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٩٣م.

وقال بعضهم أيضاً: (لا تقل لنا إن القرآن الذي قدم نماذج في عصره مستوحاه من واقع عصره يجوز القياس عليها اليوم، فهذه إحدى المعطيات الجائرة لأن العصر الجديد بعد ألف وأربعمائة سنة أو أكثر قد أنتج نماذج ووقائع ومشاكل أخرى كبيرة متشعبة لم يكن لها وجود أو شبه وجود فيما سبق)[1]

وبالتالي فهم يعمدون إلى تحريف آيات القرآن الكريم لتتوافق مع مذهبهم الحداثي.

٣-التشكيك في نصوص القرآن الكريم وفتح المجال للتأويلات الباطلة فيه:

فما دام الحداثيون قد أنكروا الوحي الإلهي وادعوا بشرية القرآن الكريم وعدم صلاحيته في الواقع المعاصر، فقد دأبوا أيضاً على التشكيك في نصوصه وآياته، حيث : أنزلوا عليه آلية التشكيك، زاعمين أن الرغبة في كشف المجهول والاطلاع على خفايا النص القرآني تدعوهم إلى الابتداء بالشك بحجة أنه المنهج الموصل إلى الاكتشاف، وبالتالي ينبغي تدشين العقل الحداثي الإسلامي، ومعيار حصول هذا التجديد هو أن تكون القراءة المبدعة للقرآن قادرة على توريث الطاقة الإبداعية في هذا العصر كما أورثتها القراءة المحمدية في عصرها ا هـ[2]

كما فتحوا المجال واسعاً أمام كل إنسان في أن يفسر نصوص القرآن كما يشاء وعلى حسب عقله وهواه، حيث زعم الحداثيون أن للنص القرآني

---

[1] الإسلام والحداثة د/عبدالمجيد الشرفي ص٢٢٩ بتصرف يسير مرجع سابق.

[2] روح الحداثة-المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية/ طه عبدالرحمن ص١٩٢، ١٩٣ بتصرف يسير مرجع سابق.

معاني كثيرة ومتنوعة، وأن النص الواحد من نصوص القرآن يحمل أكثر من معنى ويحتمل أكثر من تأويل، وبالتالي فلا حرج على أي إنسان أن يفسر نصوص القرآن بحسب عقله وفكره ومذهبه

يقول الحداثي/عبدالمجيد الشرفي*[1]:

إن الأحكام الواردة في القرآن ليست ملزمة في جميع الظروف، وإنما هي أحكام نزلت لحل مشكلات معينة زمن النبوة، ويتعين على المسلم معرفة الحكمة منها وما جاء من أهله لا التشبث بحرفيتها، لاسيما وأن القرآن نفسه قد اضطر إلى نسخ أحكام بأخرى مراعاة لمبدأ التطور والتدرج اهـ[2]

وفي هذا الكلام خلط شديد يسعى الحداثيون من خلاله إلباس الباطل ثوب الحق بهدف زعزعة المسلمين وتشكيكهم في أصل عقيدتهم ودينهم وهو القرآن الكريم.

٤-الادعاء بعدم أفضلية القرآن على غيره من الكتب الأخرى:

حيث يقرر الحداثيون عدم أفضلية القرآن الكريم على غيره من الكتب الأخرى

[1] هو أستاذ جامعي تونسي متخصص في الفكر والحضارة الإسلامية، ولد في ٢٣ يناير ١٩٤٢م في صفاقس، وقد حصل على الدكتوراة في الآداب من جامعة تونس عام ١٩٨٢م، ويعد أحد أبرز الباحثين والمفكرين التونسيين في دراسة الفكر الإسلامي وعلاقته بالحداثة. (راجع موقع: wiki-httpsllar.m.wikipedia.org)

[2] الإسلام والحداثة ص١٥٢ مرجع سابق.

كالتوراة والإنجيل، وأنه : لا سبيل إلى ادعاء أفضلية القرآن على هذين الكتابين في أي جانب من الجوانب حتى فيما يتعلق بالحفظ من التبديل، إذا التبديل الذي دخل على التوراة والإنجيل يمكن بحسب زعمهم دخوله على القرآن أيضاً[1]

وقد وجد الحداثيون ضالتهم المنشودة في هذا الادعاء حتى سارعوا إلى ممارسة النقد الهدام لآيات القرآن الكريم مدعين نسبية نصوصه وأحكامه بعيداً عن امتلاكه للحقيقة المطلقة، وأنه يتساوى مع كتب الأنبياء السابقين بدون أي أفضلية عليها ومن أقوالهم في هذا: إن كل الخطابات تتساوى من حيث هي خطابات، وليس من حق واحد منها أن يزعم امتلاكه للحقيقة، لأنه حين يفعل ذلك يحكم على نفسه بأنه خطاب زائف ا هـ[2]

وهذا ادعاء واضح من الحداثيين بعدم أفضلية القرآن على غيره من الكتب الأخرى.

٤-رفض الآيات التي لا يقرها العقل:

لقد نتج من واقع صراع الفكر الحداثي مع القرآن إلى تقرير سلطة العقل وهيمنتها على نصوص القرآن الكريم وآياته، ومن أقوالهم في هذا: إن الدولة التي تقوم على أساس ديني هي دولة غير عادلة، فالدين لا يوحد

[1] روح الحداثة/ طه عبدالرحمن ص١٨٣ مرجع سابق.

[2] نقد الخطاب الديني د/نصر حامد أبو زيد ص٢١٢ ط مكتبة مدبولي بالقاهرة ط رابعة ٢٠٠٣م.

بين الإنسان والإنسان، بل على العكس يفرق بينهما، أما الذي يوحد بينهما فهو العقل، وبالتالي فلا بد من إزالة الدين من المجتمع وإقامة العقل [1]

وبالتالي فإن المعيار والضابط لقبول بعض الآيات ورفض البعض الآخر يأتي من منطلق قربها من العقل أو بعدها عنه، فما وافق العقل أقروه وما لم يقبله لم يقبلوه، ولذا أنكروا السحر والجن وغيرها من الغيبيات التي ذكرها القرآن الكريم، ومن أقوالهم في ذلك: إن السحر والحسد والجن والشياطين وغيرها، ما هي إلا مفردات في بنية ذهنية ترتبط بمرحلة محدودة من تطور الوعي الإنساني[2]

فكل ما جاء به القرآن الكريم من قضايا أو أخبار لا يقدر العقل أن يبرهن عليها يجب رفضها وتجاوزها أو تأويلها على الأقل بما يتوافق مع فلسفة الفكر الحداثي.

وهكذا نلاحظ أن الفكر الحداثي قد اتخذ صوراً وأشكالاً متعددة في موقفه القرآن الكريم سواء أكان بادعاء بشريته أو التشكيك في نصوصه أو رفض الآيات التي لا يستسيغها العقل أو ما شابه ذلك.

---

[1] الثابت والمتحول/ أدونيس ص٩٠ مرجع سابق.

[2] نقد الخطاب الديني د/نصر حامد أبو زيد ص٢١٢ ط مكتبة مدبولي بالقاهرة ط رابعة ٢٠٠٣م.

المطلب الثاني: أبرز جوانب التحصين الثقافي من موقف الفكر الحداثي من القرآن الكريم:

من المعلوم جلياً أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالد الذي لا يتأتي منه باطل ولا يأتيه باطل، قال تعالى: (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[1]

هذا وقد هيأ الله تعالى له من وسائل الحفظ ما لم تتهيأ لأي كتاب آخر، فيكفيه أن الله سبحانه هو الذي تولى حفظه بقدرته، قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[2].

وإن العداء الواضح من أعداء الإسلام عامة وأصحاب الفكر الحداثي خاصة للقرآن الكريم قد بلغ مداه خاصة في هذا العصر الحاضر، الأمر الذي يحتم على أبناء الأمة الإسلامية من العلماء والدعاة والمفكرين أن يقوموا بواجبهم تجاه الدفاع عن هذا المصدر الأول للإسلام، من خلال منهج ثقافي وقائي تتجسد من خلاله رؤية ثقافية تحصن الشباب المسلم من مخاطر الفكر الحداثي ضد القرآن الكريم.

وتتمثل أهم جوانب التحصين الثقافي ضد الفكر الحداثي وموقفه من القرآن الكريم بإيجاز فيما يلي:-

[1] سورة فصلت: الايتان ٤١ ،٤٢ .

[2] سور الحجر: آية ٩ .

١ -إدراك وفهم ربانية القرآن الكريم وحفظ الله تعالى له:

إن إدراك حقيقة ربانية القرآن الكريم وحفظ الله له من عبث العابثين وزيف المبطلين تشكل محوراً مهماً من أهم محاور التحصين الثقافي للأمة الإسلامية من مخاطر الفكر الحداثي ضد القرآن الكريم.

فاليقين الكامل في قلب كل إنسان مسلم بأن هذا القرآن الكريم قد أنزله الله سبحانه وأنه محفوظ بحفظ الله تعالى من أي تبديل أو تغيير أو زيادة أو نقصان يبطل دعاوى أصحاب الفكر الحداثي ضد القرآن الكريم التي ذكرناها آنفاً، مثل ادعائهم بشريته والتشكيك فيه وعدم صلاحيته للواقع المعاصر وما إلى ذلك

يقول الإمام الفخر الرازي في معرض تفسيره لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[١] ما ملخصه:

(حفظه أي جعله معجزاً مبايناً لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان عنه، لأنهم لو زادوا فيه أو نقصوا عنه لتغير نظم القرآن فيظهر لكل العقلاء أن هذا ليس من القرآن، فصار كونه معجزاً كإحاطة السور بالمدينة لأنه يحصنها ويحفظها، وقال آخرون: إنه تعالى صانه وحفظه من أن يقدر أحد من الخلق على معارضته، وقال آخرون: أعجز الخلق عن إبطاله وإفساده بأن قيض جماعة يحفظونه ويدرسونه ويشهرونه فيما بين الخلق إلى آخر بقايا التكليف، وقال آخرون:المراد بالحفظ هو أن أحداً لو حاول تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذب وتغيير لكلام الله تعالى، حتى إن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو

[١] سورة الحجر: آيه ٩

هفوة في حرف من كتاب الله تعالى لقال له كل الصبيان أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا وكذا، فهذا هو المراد من قوله" وإنا له لحافظون"، ومن هنا فبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع جهات التحريف مع دخول هذا التحريف لكل الكتب السابقة قبله ومع أن دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده لمن أعظم الدلائل على إعجازه)[1].

والمتأمل في شواهد التاريخ يجد أن الكثير من الفتن قد تقلبت على كتاب الله سبحانه، وما كان يمكن أن يظل محفوظاً مصوناً لولا أن هناك قدرة إلهية قد صانته عن التحريف والتبديل.

فحفظ الله تعالى للقرآن الكريم حقيقة لا يماري فيها إلا جهول أو كذوب، وقد تمثل هذا الحفظ في أمور ثلاثة رئيسة وهي:

أ-حفظه مقروءاً: حيث يسر الله تعالى حفظه للبشر جميعاً على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأوطانهم، وصدق الله تعالى إذ يقول: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)[2]

ب-حفظه مكتوباً: حيث اهتم الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع القرآن الكريم وتدوينه في مصحف واحد

ج-حفظه مهيمناً على الكتب قبله: وصدق الله إذ يقول: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه)[3]، (أي

---

[1] مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير للإمام/أب عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ج٩ ص٣٩٠ ط دار الغد العربي ط أولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

[2] سورة القمر آية:١٧

[3] سورة المائدة آية:٤٨

مصدقاً للكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه، "ومهيمناً عليه" قال سفيان الثوري عن ابن عباس أي مؤتمنا عليه، وعن ابن عباس أيضاً: المهيمن الأمين، فالقرآن أمين على كل كتاب قبله)[1]

وبالتالي فإن إدراك وفهم ربانية القرآن الكريم وحفظه من التبديل والتغيير تشكل محوراً أساسياً من أهم محاور التحصين الثقافي من مخاطر الفكر الحداثي وموقفه من القرآن الكريم.

٢-إدراك وفهم حقيقة الإعجاز البياني في القرآن الكريم:

لقد تعرض كثير من علماء الإسلام لشرح وبيان حقيقة الإعجاز البياني في القرآن الكريم والمعاني التي احتواها والتي تدل على استحالة صدور مثل ذلك عن المخلوقين، (فهذا القرآن الكريم معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، فهو معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز في حقائقه، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيئ، فهي باقية ما بقيت)[2]

فالقرآن الكريم وما حواه من أسرار هذا التفرد في أسلوبه وبيانه ونظم نصوصه وآياته قد شكل الكثير والكثير من جوانب بيانه وإعجازه

---

[1] تفسير القرآن العظيم للإمام/ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي/ تحقيق/ محمد حسين شمس الدين ج٣ ص١١٦ الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١٩هـ.

[2] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/مصطفى صادق الرافعي ص١٥٤، ١٥٥ بتصرف يسير ط المكتبة الأهلية بمصر ط ثانية ١٣٤٥هـ١٩٢٦م.

يقول الدكتور/محمد عبدالله دراز:

(ها نحن أولاء ندعوا كل من يطلب الحق بإنصاف أن ينظر معنا في القرآن الكريم من أي النواحي أحب، من ناحية أسلوبه أو من ناحية علومه، أو من ناحية الأثر الذي أحدثه في العالم وغير به وجه التاريخ، أو من تلك النواحي مجتمعة، هل يجد فيه إلا قوة شاذة تغلب كل مغالب وتتضاءل دونها قوة كل علم وكل زعيم وكل شاعر وكاتب، ثم تنقضي الأجيال والأحقاب ولا ينقضي ما فيه من عجائب، بل قد تنقضي الدنيا كلها ولما يحيط الناس بكل ما فيه)[1]

فألفاظ القرآن الكريم تحمل أساليب بلاغية متعددة ومعاني بيانية متغايرة تحار فيها العقول وتذهل فيها الخواطر وتكل فيها القرائح، (فالقرآن الكريم قد تميز عن كل ما عداه من كلام آخر بأسلوب فريد بلغ الغاية في جزالته وبلاغته، ولو جئنا بأبلغ عبارة نطق بها العرب ووضعناها بجانب عبارة في موضعها التي جاء بها القرآن الكريم، لوجدنا بين العبارتين فرقا بلاغياً كبيراً، فأبلغ عباراتهم في القصاص مثلاً "القتل أنفى للقتل" بينما عبارة القرآن في هذا الباب، قوله تعالى: "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون"[2] ، وقد تناول علماء البلاغة كلتا العبارتين بالتحليل البلاغي وبينوا بما لا يقبل الشك أن عبارة القرآن الكريم فوق العبارة المأثورة عن العرب بمراتب كثيرة)[3]، وهذا ما جعل فصحاء العرب قديما

---

[1] النبأ العظيم ص٧١، ٧٢ بتصرف يسير مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م.

[2] سورة البقرة: آية ١٧٩

[3] الوحي والقرآن الكريم د/محمد حسين الذهبي ص٦٨ الناشر مكتبة وهبة ط أولى ١٤٠٦

يعترفون للقرآن الكريم بتفوقه البلاغي والبياني، فهذا هو الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن الكريم من النبي صلى الله عليه وسلم قال قولته المشهورة: (والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه)[1]، وصدق الله العظيم إذ يقول: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتو بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)[2].

٣-إدراك وفهم حقيقة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم هو آيات الله المقروءة والكون هو آيات الله المنظورة، ولا شك أن المؤمن عندما يقرأ عن أي اكتشاف علمي جديد أكده العلماء وأثبتوه بالدليل القاطع فإنه يشعر بالراحة النفسية والطمأنينة القلبية على نحو ما حكاه القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله: (ولكن ليطمئن قلبي)[3]، ولذا كان من الطبيعي أن يستمد القرآن الكريم كثيراً من حكمه وأمثاله من هذا الكون، على اعتبار أنه السبيل الأمثل لمعرفة الله تعالى، لأنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى عن طريق التأمل

---

[1] راجع في هذا: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للإمام/ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، توثيق وتليق د/عبدالمعطي قلعجي ج٢ ص١٩٨، ١٩٩ الناشر دار الريان للتراث ودار الكتب العلمية بيروت لبنان- مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ط أولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، وأيضا السيرة النبوية لأبي محمد عبدالملك بن هشام المعافري المعروفة بسيرة ابن هشام، تحقيق/ جمال ثابت وآخرين ج١ ص٢٢٢ ط دار الحديث بالقاهرة ط ثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

[2] سورة الإسراء: آية ٨٨ .

[3] سورة البقرة: آية ٢٦٠

في ذاته –فإن الوسائل إلى ذلك معدومة–، ولذا كان الطريق إلى معرفة الله مرتبط بالتأمل في مخلوقاته سبحانه، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم إذا يقول: (تفكروا في آلاء الله ومخلوقاته ولا تتفكروا في الله)[1]

يقول الشيخ/ محمد الغزالي– رحمه الله – :

(لا سبيل إلى معرفة الله عن طريق التأمل في ذاته، فإن الوسائل إلى ذلك معدومة، وإنما طريق التعرف إلى الله يبدأ من التأمل في خلقه، وعن طريق التفكير السليم في الحياة والأحياء واستخلاص المعارف القيمة الخارجة في الأرض و النازلة من السماء، يمكننا أن ندرك طرفاً من عظمة الخالق الأعلى وما ينبغي أن يوصف به من كمال)[2]

والقرآن الكريم قد حوى الكثير والكثير من جوانب الإعجاز العلمي، مع ملاحظة التوافق التام بين مكتشفات العلم وبين آيات القرآن الكريم، لأن مصدر الاثنين واحد وهو الله تبارك وتعالى، (ويزيد من إعجاز هذا الكتاب الكريم أنه فيما عرضه من حقائق فقد عرضها بأسلوب يلائم كل عصر، فكان يلائم عصر نزول آياته، وظل يلائم كل عصر تلاه، ثم هو اليوم يلائم العصر الحديث بمنجزاته العلمية الرائعة، وسيظل يلائم العلم

[1] أخرجه الطبراني في الأوسط بهذا اللفظ بسنده عن ابن عمر– المعجم الأوسط للإمام/سليمان با أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبي القاسم الطبراني، تحقيق/ طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، باب من اسمه محمد ج٦ ص٢٥٠ الناشر دار الحرمين بالقاهرة بدون تاريخ.

[2] نظرات في القرآن للشيخ/ محمد الغزالي ص١٣٤ ط دار الكتب الحديثة مطبعة السعادة ط ثانية ١٣٨٠هـ ١٩٦١م.

في تطوره والحياة في تقدمها حتى يرث الله الأرض ومن عليها)[1]، فيزداد الإنسان المؤمن إيماناً بهذا القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه، بدلالة هذا التوافق التام بينه وبين مكتشفات العلم المشاهدة والمعلومه في واقعنا المعاصر.

(ولما كان القرآن الكريم إنما أنزل لهداية الناس فقد اقتضت الحكمة الإلهية في آياته العلمية أن ينزل بأسلوب لا يصدم البديهي المسلم به عند الناس فيكذبوه، ولا ينافي الحقيقة الكونية فيكون ذلك داعياً إلى تكذيبه أيضاً إذا يسر الله سبل الكشف عنها لأولي العلم في مستقبل العصور، وهذا من أعجب عجائب القرآن التي لا تنقضي ومن أدل الدلائل على أن القرآن حقاً من عند الله)[2].

ولنضرب لذلك مثالاً واحداً ألا وهو: حقيقة دوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشمس ، فالقرأن الكريم له أسلوبه الحكيم في دلالته على ما يريد أن ينبه عليه من أسرار الكون ومكتشفاته، ومن هذه الجوانب العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم حركة الارض ودورانها

يقول الدكتور/ محمد احمد الغمراوي ما ملخصه:

(إن هذه الحقيقة العلمية لحركة الأرض قد ذكرها القرآن الكريم عن طريق الإشارة لا صريح العبارة مراعاة لمقتضى الحال في خفائها وعدم إحساس الناس بها ، فقد لبث الناس عامتهم وخاصتهم قروناً بعد نزول

---

[1] الإسلام والكون د/عبدالغني عبود ص١٧، ١٨ ط دار الفكر العربي ط أولى مايو ١٩٧٧م.

[2] الإسلام في عصر العلم للإستاذ الدكتور/ محمد أحمد الغمراوي ص٢٧٧ الناشر دار الكتب الحديثة.

القرآن وهم يعتقدون أن الأرض ثابتة لا حراك بها ، إذ ليس للأرض حركة في الظاهر كحركة الشمس النسبية من المشرق إلى المغرب ، فلو كان القرآن صارحهم بحركة الأرض وهم يحسبونها ساكنة لكذبوه وحيل بينهم وبين هدايته ، فكان من الحكمة البالغة ومن الإعجاز البلاغي في الأسلوب أن ينبه الناس في كتاب اللّه إلى آياته سبحانه في حركة الأرض حول محورها وفي حركتها حول الشمس بمختلف الإشارات إلى نتائج كلٍ من الحركتين مناً عليهم بها وحثاً على إكتناه أسبابها ، ومن أهم مظاهر المن والحث (القسم) ، فقد أقسم سبحانه بمخلوقاته حين غفل الناس عن آياته فيها ، كما أنه سبحانه لم يجرد القسم من إشارة تدل على طبيعة السر الذي أودع في المقسم به ،فقد وصف الليل عند القسم به بالإدبار تارة في قوله تعالى: "والليل إذ أدبر"[1] ، وبالإقبال والإدبار تارة أخرى في قوله: "والليل إذا عسعس"[2]، أي أقبل ظلامه أو أدبر، وكلها أوصاف تفيد الحركة وهي كناية عجيبة عن حركة الأرض ، وأيضا إذا تجاوزنا القسم وإشاراته واستزدنا من الدلالة على الحركة اليومية للأرض في القرآن لوجدنا ذلك واضحاً في آيات كثيرة ، ومن ذالك قوله تعالى : "يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا "[3] ، فكل من الليل والنهار يطلب الآخر طلباً حثيثاً بإذن اللّه كي يغشاه ،وهذا ناتج من دورة الأرض اليومية حول نفسها أو حول محورها أمام الشمس ، وأيضاً قوله تعالى : "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون"[4]، فالليل والنهار

---

[1] سورة المدثر: آية ٣٣

[2] سورة التكوير: آية ١٧

[3] سورة الأعراف :آية ٥٤

[4] سورة يس :آية ٤٠

يسبحان في فلك جوها الذي يدور بدورانها مرة حول محورها امام الشمس كل يوم)[1]

وأماَ الإشارة القرآنية على أن للأرض حركة سنوية حول الشمس (ففي القرآن الكريم دلالتان على الأقل على ذلك أحدهما : عن طريق الإشارة الى الأثر في الليل والنهار من حيث التداخل من إحداهما في الآخر من جهة الطول والقصر على تتابع الفصول الناشئة من تلك الحركة وذلك في مثل قوله تعالى :" يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل" [2]، وقوله تعالى :" ألم تر أن اللّه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل " [3]، وقوله تعالى :" ذلك بأن اللّه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل "[4]، وتكرار المعنى هكذا في آيات متعددة توكيد له من ناحية، وتنبيه من اللّه لعباده أن يطلبوا سر هذه الظاهرة الكونية التي يحسونها من ناحية أخرى ، والسر في ذلك هو الحركة السنوية للأرض حول الشمس ، وأما الدلالة الثانية: فهي أهم لأنها إشارة تكاد تنص في صراحة تامة على أن للأرض حركة غير حركتها اليومية، وهي ما يطلق عليها الحركة السنوية، وهذه الدلالة نلتمسها من قوله تعالى: "وترى الشمس تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيئ"[5]، فالسحاب كما نعلم لا يتحرك بذاته ولكنه ينتقل محمولاً على الرياح، فكذلك الجبال يراها الرائي فيظنها جامدة في مكانها، وهي تمر مسرعة محمولة أيضاً،

---

[1] الإسلام في عصر العلم د/محمد احمد الغمراوي ص ٢٦٩- ٢٧٤ مرجع سابق .

[2] سورة الحديد:آية ٦

[3] سورة لقمان :آية ٢٩

[4] سورة الحج : آية ٦١

[5] سورة النمل: آية ٨٨

وليس لها حامل إلا الأرض، فالأرض إذن هي المسرعة بها كما تسرع الرياح بالسحاب، وكلا الأمرين من صنع الله الذي أتقن كل شيئ، وليس عجباً أن يفوت المفسرين جميعاً هذا المعنى على قربه، لأنهم لم يكونوا يعرفون أن للأرض حركة ما لا يومية ولا سنوية، وإنما ساقوا المعنى على أن هذه الظاهرة من ظواهر قدرة الله في الكون يوم القيامة)[1]

إلى غير ذلك من الشواهد العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم كتلاقح النبات بواسطة الرياح، والجبال الرواسي وغيرها.

إذن فإدراك وفهم حقيقة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من أهم جوانب التحصين الثقافي ضد موقف الفكر الحداثي من القرآن الكريم.

وبعد، فحسبا هنا إشارة سريعة إلى موقف الفكر الحداثي من القرآن الكريم، وأنتقل بعد ذلك إلى المبحث التالي عن موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية وسبل التحصين منه، فأقول **وبالله التوفيق**.....

[1] الإسلام في عصر العلم د/محمد أحمد الغمراوي ص٢٧٥ مرجع سابق.

المبحث الثالث

موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية وسبل التحصين منه

لقد عمد أعداء الإسلام في الماضي والحاضر إلى النيل من الإسلام وأهله محاولين استئصال دينهم وانتزاع عقيدتهم، وكان من أخطر وسائل الأعداء في ذلك تغلغلهم داخل الأمة الإسلامية عبر ثقافتها ومعرفتها من خلال ما يعرف بالفكر الحداثي، الذي يحارب العقيدة الإسلامية بإثارة الشبهات، مستغلاً بعض ما يتوافر لديه من أحداث تاريخية أو روايات غير صحيحة.

وكان للسنة النبوية النصيب الوافر من هجمات أصحاب هذا الفكر الحداثي

وسينتظم الحديث في هذا المبحث حول المطلبين التاليين وهما:

المطلب الأول: موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية المطهرة.

المطلب الثاني:التحصين الثقافي من موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية المطهرة.

المطلب الأول: موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية المطهرة:

كما عمد أصحاب الفكر الحداثي إلى القرآن الكريم فكان موقفهم منه- كما ذكرنا آنفا- نزع قدسيته وادعاء بشريته تارة، والتشكيك فيه تارة، وجعله تحت سلطان العقل تارة أخرى، فقد كان موقفهم من السنة هو نفس موقفهم من القرآن الكريم.

(وقد بدأت مسيرة اتكار سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفض اعتبارها مصدراً تشريعياً كالقرآن الكريم والخروج على طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أيدي الخوارج والشيعة الرافضة، حيث استمرت مسيرة الضلال يسلمها ضال إلى ضال ويأخذها ضال عن ضال)[1]

ولما كانت السنة من الأهمية بمكان في نطاق التشريع الإسلامي، فإن الطعن فيها بمثابة طعن صريح في القرآن الكريم أيضاً، باعتبار أن كليهما وحي من الله تعالى، قال تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[2]

ويمكن توضيح موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية بإيجاز في النقاط التالية:

---

[1] شبهات القرآنيين حول السنة النبوية د/محمود محمد مزروعة ص٢٦ الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة،

[2] سورة النجم: آية ٣

١-إنكار النبوة بمعناها الإسلامي وخلعها على الحداثي:

إن الحداثيين ينكرون النبوة والرسالة بمعناها الإسلامي الصحيح، وقاموا بتحريف معناها حتى خلعوها وأطلقوها على كل من يمتلك ذكاء واسعاً لاسيما الرجل الحداثي فعندما سئل "أدونيس": هل ترى للنظرية التي طرحها الإسلام من خلال النبوة والقرآن فعلاً عصرياً؟ فكان جوابه: (ظاهرة النبوة بحد ذاتها عصرية، لكن المسألة هي في فهم هذه الظاهرة، وأنا شخصياً ضد فهمها السائد في المجتمع العربي اليوم، إن هذا الفهم المشوه يقيم سداً بينها وبين العصر، إنه يقتل النبوة)[١]

فالحداثيون يعتبرون الحداثي نبياً ورسولاً، لأن النبوة في نظرهم سعة وإدراك للأمور مع ذكاء يميز صاحبه عن الآخرين، وهذا ما يتمتع به الحداثي دون سواه على حسب زعمهم.

٢-رفض السنة النبوية وتحريفها:

ما دام الحداثيون قد أنكروا النبوة والرسالة من الأساس وحرفوا معناها الإسلامي الصحيح حتى أطلقوا لفظ النبي أو الرسول على كل حداثي، فقد نتج عن ذلك أيضاً رفض السنة النبوية وتحريفها، حيث لم تسلم السنة النبوية من عبث هؤلاء الحداثيين

فتارة يوجهون سهامهم حول مسألة إنكار اعتماد السنة أصلاً من أصول التشريع

وتارة أخرى حول التشكيك في جميع أسانيدها ومتونها.

---

[١] أسئلة الشعر في حركة الخلق وكمال الحداثة وموتها للأستاذ/منير العكش ص١٤٠، ١٤١ ط المؤسسة العربية للدراسات بيروت ط أولي ١٩٧٩م.

ففي مسألة عدم اعتماد السنة النبوية أصلا من أصول التشريع الإسلامي يقرر الحداثيون (أن أحكام السنة غير ملزمة في التشريع، وبالتالي فإن هذا الأصل لم يعد يحتل نفس المنزلة التي كانت عند الأجيال القريبة من عهد النبوة، وأن الشعور السائد أنه من العسير مواجهة مشاكل التشريع في المجتمعات العصرية بالرجوع إليه)[1]، كما قرروا: أن التغيير السياسي في المجتمع العربي لم يعد وحده كافياً، وإنما يلزمه التغيير الثقافي الشامل[2] – ويقصدون من ذلك تنحية أصول الإسلام عن التطبيق في واقع المسلمين.

وفي معرض التشكيك في أسانيد السنة ومتونها يقول الحداثي/ عبدالمجيد الشرفي:

إن أهل الحديث وعلماء السنة قد قصروا في تمحيص متون الأحاديث، وأنهم يحتجون على أحكامهم بأحاديث كثيراً ما تكون متعارضة وتقوم بدور التبرير لاختيارات تمليها اعتبارات سياسية أو غيرها، وهذا يعد – على حد زعمه– انتصاراً لأهل الحديث على أهل الرأي، وتكريساً لسلطة النص على حساب سلطة الفكر ا هـ[3]

فالمعيار عندهم هو اعتماد السلطة المطلقة للعقل على حساب أي نص قديم أو موروث، وبالتالي فليس هناك وجود أو شبه وجود للوحي قرآناً أو سنة في عصر ازدهار الفكر الحداثي.

---

[1] الإسلام والحداثة د/عبدالمجيد الشرفي ص١٦١ مرجع سابق.

[2] الثابت والمتحول أدونيس ص٢٢١ مرجع سابق.

[3] الإسلام والحداثة د/عبدالمجيد الشرفي ص٢٢٩ مرجع سابق.

٣-الطعن في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته:

أن الطعن في شخصية النبي – صلى الله عليه وسلم- والانتقاص من قدره هو هدم لصرح الإسلام وهدم لأصل من أصوله بل هو طعن في القرآن الكريم ذاته، حيث ذكاه الله في قرآنه بقوله (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[١]، وهذا أسلوب عدائي انتهجه المشركون قديماً عندما اتهموه صلى الله عليه وسلم بالجنون والشعر والسحر وغير ذلك من الافتراءات والأكاذيب التي لا سند لها ولا دليل.

وكون الفكر الحداثي يطلق صفة النبوة على أصحاب الفكر الحداثي فإنهم بذلك يجردون النبي صلى الله عليه وسلم منها، باعتبار أن كل ما جاء عنه قديم وموروث وغيبيات لا يؤمن بها الحداثيون، وفي هذا طعن في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول الحداثي/ وفيق خنسة: إن العقل الثوري يرى أن لكل ظاهرة معقوليتها ومنطقها، ويمكن فهمها إذا ضبطنا أسبابها عبر التحليل وتجارب الواقع، والثوري بهذا المنطق إنسان عملي لا يؤمن بالغيبيات ا هـ[٢]

وبالتالي فهم يعمدون إلى تأويل جديد وتحريف للنصوص النبوية كما فعلوا مع النصوص القرآنية لتتلائم مع العقلية الحداثية التي لا تؤمن بالنبوة والرسالة بمعناها الإسلامي الصحيح، بل تتعمد الطعن في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم والانتقاص من قدره ورسالته.

---

[١] سورة النجم :آية ٣

[٢] جدل الحداثة في الشعر – دراسة تطبيقية د/وفيق خنسة ص١١٢ ط دار الحقائق بيروت ط أولى ١٩٨٥م.

المطلب الثاني: أبرز جوانب التحصين الثقافي من موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية:

إن مخططات الفكر الحداثي تهدف دائما إلى نقل الفكر البشري من الاعتماد على الوحي الإلهي إلى حياة أخرى تبعد سلطان الشرع من الحياة- شأنه في ذلك شأن سائر أعداء الإسلام- حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق.

وقد أسلفنا موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية القائم على الإنكار والرفض، ولا يكفي في التحصين مجرد معرفة الداء بل لابد من وصف الدواء، حماية لأبناء الأمة الإسلامية من آثار الفكر الحداثي.

وتبرز أهم جوانب التحصين الثقافي من موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية المطهرة فيما يلي:

١-فهم وإدراك مفهوم السنة النبوية:

السنة في اللغة: الطريقة (وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق)[١]، (وتطلق أيضاً على السيرة)[٢]، سواء أكانت محمودة أو مذمومة ، وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن جرير بن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئ،

---

[١] تهذيب اللغة للإمام/محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، باب السين والنون ج١٢ ص٢١٢ مرجع سابق.

[٢] معجم مقاييس اللغة للإمام/ أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، باب سن ج٢ ص٦١ مرجع سابق.

ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئ)[1]

والسنة في اصطلاح المحدثين: (هي كل ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل إو تقرير)[2]، وقيل: (هي ما يجب اتباعه من كل ما هو مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم)[3].

والسنة عند علماء الأصول على ضربين: (مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم ومنقول عنه، والكلام في المنقول،في سنده من حيث التواتر والآحاد، وفي متنه من حيث هو قول أو فعل أو تقرير)[4]

---

[1] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بصحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي، كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ج٤ ص٢٠٥٩ الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

[2] الاقتراح في بيان الإصلاح للإمام/تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهيب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد ص١٧ الناشر دار الكتب العلمية بيروت.

[3] معرفة أنواع علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح للإمام/عثمان بن عبد الرحمن أبي عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح، تحقيق/نور الدين عتر ج١ ص٥٠ الناشر دار الفكر بسوريا- دار الفكر المعاصر بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

[4] شرح مختصر الروضة للإمام/سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري أبي الربيع نجم الدين، تحقيق/عبدالله بن عبدالمحسن التركي ج١ ص١٠٥ الناشر مؤسسة الرسالة ط أولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. وأيضا: العدة في أصو الفقه للإمام/ القاضي أبي يعلي محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء، تحقيق وتعليق د/أحمد بن علي بن سير المباركي ج١ ص٧٢ ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط ثانية ١٤١٠ه ١٩٩٠م.

والسنة هي أصل من أصول الدين وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ففيها بيان للقرآن وتفصيل لمجمله.

فالقول: هو كل ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم يتصل بأمور الدين والشريعة الإسلامية.

وأما الفعل فهو: كل ما نقله الصحابة رضي الله عنهم من أفعاله صلى الله عليه وسلم في شئون العبادات والمعاملات والتشريعات والجهاد والأخلاق وغيرها.

وأما التقرير: فهو كل ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال الصحابة وأفعالهم سواء أكان بسكوت منه وعدم إنكار، أو بإظهار الرضا والإستحسان، مثل إقراره صلى الله عليه وسلم اجتهاد الصحابة الإجلاء في أمر صلاة العصر في غزوة بني قريظة، عندما قال لهم، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)[1]

فمن الصحابة من أخذ بظاهر الأمر فأخر صلاة العصر حتى انتهوا إلى بني قريظة، ومنهم من حمل بعض الحديث على معنى الحث على سرعة الذهاب إلى بني قريظة، فصلوا العصر في الطريق قبل بلوغ بني قريظة، ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أقر فعل الصحابة جميعا ولم ينكر على رأي منهما.

[1] صحيح البخاري كتاب الجمعة باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء ج٢ ص١٥ مرجع سابق،

٢-فهم وإدراك حقيقة النبوة والرسالة في المنظور الإسلامي:

إن فهم وإدراك حقيقة النبوة والرسالة في الإسلام، يشكل محوراً أساسياً في مجال التحصين الثقافي من الفكر الحداثي فيما يتعلق بالسنة النبوية المطهرة، لأن الفكر الحداثي قد أطلق لفظ النبوة على الحداثيين باعتبار أنها أمر مكتسب نتيجة الاجتهاد وسرعة الإدراك وقوة الذكاء، بينما النبوة والرسالة في المنظور الإسلامي هي منحة إلهية وهبة ربانية لا تأتي بالاجتهاد أو بالاكتساب، وإنما هي خصيصة ميز الله تعالى بها عباده من الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم لحمل رسالته، قال تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالته)[١] ، (فالنبوة لا يكتسبها العبد بمباشرة أسباب مخصوصة كملازمة الخلوة والعبادة وغيرها، ولكنها خصيصة من الله لا يبلغ العبد أن يكتسبها)[٢]

ومن هنا، فالنبوة في المنظور الإسلامي منحة إلهية يعطيها الله تعالى لمن اصطفاهم من عباده ليبلغ دعوة الله إلى الناس.

وينبغي على الإنسان المؤمن أن يعتقد أن النبي بشر وليس إلهاً أو خالقاً، وإنما هو بشر معصوم، عصمه الله تعالى بقدرته وإرادته ليكون أسوة حسنة في اقتدائهم به، (فالعصمة تعني الامتناع عن فعل المعاصي، ومع أن الأنبياء بشر فهم يمتازون عن باقي البشر العاديين، لأنهم صفوة الخلق الذين اختارهم الله تعالى وخصهم برعايته وتوفيقه)[٣]

---

[١] سورة الأنعام: آية ١٧٤

[٢] المختار من شرح البيجوري على الجوهرة ص١٥٠ ط محمد على صبيح بالقاهرة.

[٣] النبوة والأنبياء في الفكر الإسلامي د/علي عبدالفتاح المغربي ص٢٧ الناشر مكتبة وهبة ط ثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

وما دام هؤلاء الأنبياء والرسل هم صفوة الله من خلقه فلا بد أن يكونوا متصفين بالأخلاق الحميدة ومعصومين عن المعاصي لأنهم قدوة ويجب الاقتداء بهم بنص القرآن في قوله تعالى: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)[1]، وقال تعالى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات)[2]

٣-فهم وإدراك مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي:

إن فهم وإدراك مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي من أهم جوانب التحصين الثقافي الإسلامي من موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية.

فالسنة النبوية هي المصدر التالي في التشريع الإسلامي وهذه حقيقة لا يشك فيها إلا معاند أو جاهل،(فالسنة في مجال التشريع الإسلامي وحجية الأحكام في منزلة واحدة مع القرآن الكريم، فالقرآن والسنة متساويان في مرتبة واحدة من حيث الحجية في إثبات الأحكام الشرعية، أما في مصدرية التشريع فتأتي السنة في المنزلة الثانية بعد القرآن العظيم)[3]

ويكفي في الدلالة على هذه الحقيقة تلك الآيات التي تؤكد أن السنة النبوية وحي من الله سبحانه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وتأكد طاعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه والاحتكام إليه.

---

[1] سورة الأنعام: آية ٩٠

[2] سورة الأنبياء آية: ٧٣ .

[3] شبهات القرآنيين حول السنة النبوية د/ محمود محمد مزروعة ص٨، ٩ مرجع سابق.

فمن باب الدلالة على أن السنة النبوية وحي من الله تعالى قوله سبحانه: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[1]، وقوله تعالى: (لقد من الله عن المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويـــزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وأن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[2]

وقوله تعالى (ولو تقَّول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين)[3]

ومن الآيات التي تأمر بوجوب طاعة النبي صلى الله عليه وســـلم قولـــه تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب)[4]، وقوله تعالى: (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين)[5]، وقوله تعالى: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون)[6] وقوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله)[7]، وقوله تعالى: (فلا وربك لا يأمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما)[8]، وقولـــه تعالى: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن

---

[1] سورة النجم: الايتان ٣ ،٤

[2] سورة ال عمران :١٦٤

[3] سورة الحاقة: الآيات: من ٤٤- ٤٧

[4] سور الحشر: آية ٧

[5] سورة آل عمران: آية ٣٢

[6] سورة النور: آية ٥٦

[7] سورة النساء: آية ٦٤

[8] سورة النساء: آية ٦٥

يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون)[1]

وحول هذا المعنى أيضا يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الترمذي وغيره بسنده واللفظ له عن المقدام بن معدي كرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا أستحللناه ،وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ،وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله) [2]

٤-فهم وإدراك علاقة السنة المطهرة بالقرآن الكريم:

لا شك أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم وحي من الله تعالى، وقد قيض الله تعالى لها من الحفظ كما حفظ كتابه العزيز بواسطة علماء أجلاء ينفون عنها تحريف الجاهلين وتأويل المبطلين، وهي من الذكر الذي تكفل الله بحفظه في قوله: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[3]، ولولا حفظ لله لها لما بقيت حتى الآن، وما قيض لها من يذب عنها، وما العلوم التي تختص بها كعلم الإسناد والجرح والتعديل وغيرهما إلا من قبيل الأسباب التي هيأها الله تعالى لحفظها.

---

[1] سورة النور :الآيتان ٥١، ٥٢

[2] سنن الترمذي للإمام /محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبي عيسى تحقيق أحمد محمد شاكر كتاب أبواب العلم باب ما نهي أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم ج٥ ص٣٨ الناشر مصطفى البابي الحلبي بمصر ط ثانية ١٢٩٥هـ ١٩٧٥م.

[3] سورة الحجر:آية ٩

وعلاقة السنة المطهرة بالقرآن الكريم كالجسد الواحد، فبينهما من الترابط والتلازم كما بين شجرتين متجاورتين توشك إحداهما أن تظلل الأخرى، فلا يفهم القرآن من غير السنة، ولا يستغنى بالسنة عن القرآن.

وتتضح علاقة السنة بالقرآن بإيجاز من خلال النقاط التالية:

أ- السنة النبوية تفسر نصوص القرآن الكريم:

فكثيراً ما تأتي السنة النبوية بتفسير نصوص لا يعلمها بعض الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، (فعن ابن مسعود: لما نزلت"الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون"[1] ، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: "يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم")[2]

ب-السنة النبوية شارحة لما أجمل في القرآن الكريم:

لقد نزل القرآن الكريم مجملاً في كثير من جوانبه وأحكامه وأوامره ونواهيه وجاءت السنة النبوية تفصل ما أجمل في هذا القرآن الكريم ، وقد أشار القرآن الكريم إلى مهمة السنة النبوية

---

[1] سورة الأنعام:آية ٨٢

[2] الجامع لأحكام القرآن لإمام/ أبى عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق/أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش ج٧ ص٣٠ مرجع سابق، والحديث أخرجه البخاري في صحيه كتاب أجاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: "ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله" ج٤ ص١٦٢ مرجع سابق.

في بيان ما أجمل في القرآن الكريم حيث يقول سبحانه: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)[1]

يقول الدكتور/ محمود مزروعة:- رحمه الله- ما ملخصه:

إن القرآن الكريم قد اشتمل على قضايا الدين وأصول الأحكام الشرعية، أما تفاصيل الشريعة وجزئياتها فقد فصل بعضها وأجمل أكثرها، فأين نجد في القرآن عدد الصلوات ووقت كل صلاة ابتداء وانتهاء، وعدد ركعات كل صلاة، والسجدات في كل ركعة، وهيئاتها وأركانها وما يقرأ فيها، وواجباتها وسننها ونواقضها، إلى غير ذلك من أحكام لا يمكن أن تقام الصلاة بدونها؟ ومثل ذلك يقال في أحكام العبادات كافة ا هـ[2]

ففي الصلاة تأتي السنة العملية في قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه ابن حبان بسنده عن أبي حاتم: (صلوا كما رأيتموني أصلي)[3]، وفي الحج والعمرة يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البيهقي بسنده عن جابر بن عبد الله: (خذوا عني

---

[1] سورة النحل: آية ٤٤

[2] شبهات القرآنين حول السنة النبوية د/محمود محمد مزروعة ص٥١ مرجع سابق.

[3] صحيح ابن حبان للإمام/محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي أبي حاتم الدارمي البستي، تحقيق/شعيب الأرنؤوط باب بيان قوله صلى الله عليه وسلم فأذنا وأقيما ج٥ ص٥٠٣ الناشر مؤسسة الرسالة بيروت ط ثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٢م.

مناسككم)[1]، وهكذا في سائر الشعائر والعبادات ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال فيما أخرجه أحمد في مسنده عن المقدام بن معدي كرب الكندي: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)[2]

ج-السنة النبوية تخصص عام القرآن الكريم:

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم)[3]، (فاللفظ هنا عام في كل سارق سرق قليلاً أو كثيراً من حرز أو من غير حرز،فقيام الدلالة على اشتراط الحرز وقدر مخصوص – كما جاءت بذلك السنة – يمنع القطع)[4]

وهنا نلاحظ أن اللفظ القرآني قد جاء عاماً، وجاءت السنة النبوية تخصص هذا العام، أي أن قطع اليد لا يكون إلا بشروط مخصوصة جاءت بها السنة النبوية المطهرة ومن أهمها ١-أن يكون المسروق قد بلغ مقداراً

---

[1] السنن الكبرى للإمام/ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني أبي بكر البيهقي،تحقيق/محمد عبدالقادر عطا باب الإبضاع في وادي مضر ج٥ ص٢٠٤ الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م.

[2] مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام/أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق/شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف د/عبدالله بن عبدالمحسن التركي، باب لا إسلام بغير السنة ج١ ص١٢ الناشر مؤسسة الرسالة ط أولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

[3] سورة المائدة: آية ٣٨

[4] المعتمد في أصول الفقه للإمام/محمد بن علي الطيب أبي الحسين البصري المعتزلي، تحقيق/ خليل الميس ج١ ص٢٦٩ الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤٠٢هـ

معيناً مقداره ربع دينار ذهب فصاعدا، حيث جاء في الرسالة للإمام الشافعي: (وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يقطع إلا من بلغت سرقته ربع دينار فصاعداً)[1] ٢-وأن يكون من حرز، (فمن سرق من غير حرز لا يوجب القطع ومن سرق من حرز وجب القطع)[2]، فالسنة النبوية إذن تخصص عام القرآن الكريم.

د-السنة النبوية توضح المشكل وتقيد المطلق:

فمن أمثلة توضيح المشكل ما جاء في قوله تعالى: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)[3]

فقد استشكل المعنى على البعض في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد ذكر القرطبي في تفسيره: (عن عدي أنه قال: يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقالين، عقالاً أبيض وعقالاً أسود أعرف بهما الليل من

---

[1] الرسالة للإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المكي، تحقيق/ أحمد محمد شاكر ج١ ص٦٦ باب ما جاء عاما ودلت السنة على أنه يراد به الخاص الناشر مكتبة الحلبي بمصر ط أولى ١٣٥٨هـ ١٩٤٠م، وأيضا الإحكام في أصول الأحكام للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، تقديم أ.د/إحسان عباس ج١ذ ص٧٣ الناشر دار الآفاق الجديدة بيروت.

[2] المحلى بالآثار للإمام/ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ج٦ ص٢٢٠ باب مسألة خلط تبيذ بنبيذ الناشر دار الفكر بيروت بدون تاريخ.

[3] سورة البقرة: آية ١٨٧

النهار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنماهو سواد الليل وبياض النهار)[1]

ومن باب تقييد السنة لمطلق القرآن تحديد اليد وموضع القطع في حد السرقة، حيث يقول سبحانه: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم)[2]

فاللفظ القرآني في الآية الكريمة هنا مطلق، لأن كلمة اليد تطلق على الكف وعلى الساعد وعلى الذراع، فجاءت السنة النبوية وقيدت هذا الإطلاق، وبينت أن القطع إنما يكون من الكوع في اليد اليمنى فقط دون اليسرى[3]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٩٣ مرجع سابق، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن عدي بن حاتم كتاب الصوم باب قول الله تعالى"وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود" ج٢ ص٢٨ مرجع سابق.

[2] سورة المائدة: آية ٣٨

[3] يراجع في هذا: الموافقات للإمام إبراهيم بن مرسي بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق/أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان ج٣ ص٣٤٤ الناشر دار ابن عفان ط أولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.، وأيضا: الإحكام في أصول الأحكام/ أبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق/عبدالرازق عفيفي ج٢ ص٤ الناشر المكتب الإسلامي بيروت بدون تاريخ، وأيضا:البرهان في أصول الفقه للإمام/عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني أبي المعالي ركن الدين الملقب بإمام الحرمين، تحقيق/ صلاح بن محمد بن عويضة ج١ ص١٥٨ الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

فتوضيح المشكل وتقييد المطلق من أهم جوانب علاقة السنة النبوية المطهرة بالقرآن الكريم.

هـ- استقلال السنة في الدلالة على أحكام سكت عنها القرآن:

فالسنة النبوية كثيراً ما تنفرد وتستقل بأحكام سكت عنها القرآن الكريم ولا يوجد عنها نص فيه،(كالحكم بطهورية ماء البحر وحل ميتته، وكتحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم كل ذي مخلب من الطير وكل ذي ناب من السباع، وتحريم الجمع بين البنت وعمتها أو خالتها)[1]، وكذا عدد الرضعات المحرمات، والمحرمات من الرضاع وغيرها.

فمثل هذه الأحكام وغيرها قد استقلت السنة بتشريعها وليس للقرآن نص فيها مما يدل على أن السنة النبوية تستقل بأحكام سكت عنها القرآن الكريم ولا يوجد لها نص فيه.

و- فهم وإدراك عناية علماء الإسلام بتدوين السنة النبوية:

إذا كان الفكر الحداثي قد اتخذ من التشكيك في صحة تدوين السنة النبوية معولاً للطعن في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن فهم وإدراك عناية علماء الإسلام بتدوين السنة النبوية المطهرة يعد من أهم جوانب التحصين الثقافي من مخاطر الفكر الحداثي من السنة النبوية.

وقد كانت البدايات الأولى لحفظ وتدوين السنة النبوية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عندما سمح لبعض الصحابة بالكتابة بينما نهى البعض الآخر عن ذلك خشية اختلاط السنة بالقرآن.

---

[1] الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين د/ أحمد محرم الشيخ ناجي ص٦١ ط خامسة بدون تاريخ.

وفي عصر الخلفاء الراشدين كان جل اهتمامهم مرتكزاً على حفظ القرآن الكريم وتدوينه فقط دون السنة النبوية حتى يثبت في الصدور، إلا أن السنة النبوية كانت حاضرة في حياة الصحابة عملاً وسلوكاً، الأمر الذي كان بمثابة تدوين عملي جعل لها حضوراً وشهوداً في دنيا الناس.

وقد هم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بجمع وتدوين السنة إلا أنه رجع عن ذلك خشية أن ينصرف الناس عن القرآن إلى غيره، ولذا يقول الإمام/ ابن حجر العسقلاني – رحمه الله – :

(والحرص البالغ على القرآن ومدارسته هو الذي دفع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ترك تدوين السنة)[1]

وبعد أن انقضى عصر الصحابة – رضي الله عنهم– وجاء عصر التابعين من بعدهم لم يجدوا بأساً من كتابة السنة النبوية بعد أن تأكدوا من أن القرآن الكريم قد لقي من العناية والاهتمام والحفظ والتدوين ما جعله في مأمن تام من التحريف أو الخلط بغيره، حيث أمر الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز أثناء خلافته بكتابة الحديث، فكان الإمام ابن شهاب الزهري أول من استجاب لذلك وكتب كتاباً جمع فيه ما كان يحفظه من أحاديث رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم وأقوال‌صحابته –رضي الله عنهم جميعا–، وفي هذا يقول الإمام السيوطي – رحمه الله – :

[1] العجاب في بيان الأسباب للإمام/أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق/عبدالحكيممحمد الأنيس ج١ ص٩ الناشر دار ابن الجوزي بدون تالريخ.

(كتب عمر بن عبدالعزيز إلى الآفاق: انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه، فكان أول من دونه بأمر عمر بن عبدالعزيز ابن شهاب الزهري)[1].

ولما جاء القرن الثالث الهجري – والذي يعد العصر الذهبي للسنة – اتجهت جهود العلماء والرواة إلى جمع الحديث النبوي الشريف، (وفي هذا القرن الثالث الهجري برزت كتب السنة المعتمدة بدءاً من الإمام البخاري ومسلم، وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز)[2]، ثم جاء بعد ذلك بقية علماء السنة كأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجة، ثم تبعهم بعد ذلك جمهرة من العلماء في هذا المجال.

وينبغي هنا الإشارة إلى أن الإمامين البخاري ومسلم قد تحريا الدقة والصحة في كتابيهما، فلا يوجد فيهما إلا الصحيح فقط، أما بقية الكتب فقد جمعت بين الصحيح وغيره، مع الأخذ في الاعتبار أن علماء الحديث قد بذلوا جهوداً عظيمة في جمع وضبط السنة ، والبحث في حال الرواة

---

[1] تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للإمام/عبدالرحمن بن أبي بكر جلا الدين السيوطي، تحقيق/ أبي قتيبة نظر محمد الغاريابي ج١ ص٩٤ الناشر دار طيبة بدون تاريخ.

[2] معرفة أنواع علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، للإمام/عثمان بن عبدالرحمن أبي عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح، تحقيق/ نور الدين عتر ج١ ص١٨ مرجع سابق.

وغير ذلك، مما لا يوجد له نظير في تاريخ البشرية من حيث الدقة والإتقان [1] ، ولا يتسع المجال هنا لذكره خشية الإطالة.

وخلاصة القول في ذلك: أن حركة التدوين للسنة النبوية المطهرة قد تميزت بالدقة والعبقرية مع ثراء وتنوع في المصنفات على كافة الأصعدة سواء أكان منها ما يتعلق بالنقد أو الترتيب أو التبويب أو المنهج أو غير ذلك، مما يعد بحق إعجازاً أراده الله تعالى لحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم على يد هؤلاء العلماء الإجلاء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وبعد، فحسبنا هنا إشارة إلى موقف الفكر الحداثي من السنة النبوية وسبل التحصين منه، وانتقل بعد ذلك بعون الله تعالى إلى المبحث التالي، عن موقف الفكر الحداثي من التراث وسبل التحصين الثقافي منه، **فأقول وبالله التوفيق، .....**

[1] يراجع في هذا بالتفصيل: الحديث والمحدثون د/ محمد محمد أبو زهو ص٢٠٢ وما بعدها الناشر دار الفكر العربي ١٣٧٨هـ، وأيضا: تدوين السنة ومنزلتها د/عبدالمنعم السيد نجم ص٣٧ وما بعدها، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة السادسة عشر ربيع أول ١٣٩٩هـ، وأيضا: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث د/محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة ص٩ وما بعدها الناشر دار الفكر العربي بدون تاريخ.

المبحث الرابع

موقف الفكر الحداثي من التراث وسبل التحصين الثقافي منه

من المعلوم أن التراث الإسلامي مصطلح شامل يتسع لكل ما له علاقة بالإسلام، سواء أكان من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أو اجتهادات العلماء السابقين في فهم هذه النصوص وتطبيقاتها على الواقع لديهم.

فالتراث هو: (كل ما ورثه الناس اليوم عن أسلافهم من المعرفة الفكرية ومصادرها الأصلية، أي الدين ومصادره، فيشمل أصول العقيدة وأركان الشريعة وما تتضمنه من عبادات وقيم وأخلاق ومعاملات، أو بتعبير آخر هو القرآن والسنة وما جاء فيهما)[1]

ولذا فحديثنا في هذا المبحث بمثابة ذكر العام بعد الخاص، حيث تحدثنا في المبحثين السابقين عن القرآن والسنة وهما من أهم الأصول التي يدور التراث الإسلامي حولهما، ولكني في هذا المبحث سألقي الضوء حول التراث بمضمونه العام ليشمل الإنتاج المعرفي في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه وغير ذلك، كما يشمل أيضا كل ما خلفه العلماء المسلمون عبر العصور من مؤلفات في مختلف صنوف المعرفة، وصنعوا به حضارة شاملة في شتى المجالات حتى شهد بها كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وسينتظم الحديث في هذا المبحث بعون الله وتوفيقه حول مطلبين هما:

---

[1] الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية / محمد عبدالعزيز بن أحمد العلي ص١٢٥٥ مرجع سابق.

المطلب الأول: موقف الفكر الحداثي من التراث الإسلامي.

المطلب الثاني: التحصين الثقافي من موقف الفكر الحداثي من التراث الإسلامي.

فأقول، وبالله التوفيق .....

المطلب الأول: موقف الفكر الحداثي من التراث الإسلامي:

يكثر الحداثيون من الثورة على التراث الإسلامي برمته – وما موقفهم من القرآن والسنة كما أسلفنا إلا تأكيداً على موقفهم من هذا التراث الإسلامي عامة – لأنهم يرونه موروثاً قديماً كان يشكل عمليات ذهنية وفكرية استجابة لمتطلبات الواقع الماضي والعصور السابقة، ولكن لا يصلح الآن مطلقاً لمتطلبات العصر الحديث – بحسب زعمهم – .

ويمكن إيجاز موقف الفكر الحداثي من التراث الإسلاممي في النقاط التالية:

١ –رفض التراث الإسلامي والثورة على كل قديم وموروث:

إن الحداثيين يتمردون على كل قديم وموروث وسائد ومألوف، ولما كان الإسلام يحوي ذلك التراث العظيم من عقيدة وشريعة وأخلاق فقد رفضوا كل ذلك لأنه يتعارض مع مذهبهم الحداثي الذي يعلي شعار الرفض والإنكار لكل ثابت وقديم.

والحداثيون يهدفون من وراء ذلك هدم مصادر المعرفة في الإسلام وحتى لا يكون الوحي هو مصدر العقيدة والشريعة والأخلاق، بل يكون الإنسان بفكره وعقله وهواه هو مصدر المعرفة وصانع القوانين دون سواه، ومن أقوالهم في ذلك:

(لا يقدر الشعر أن يتفتح ويزدهر إلا في مناخ الحرية الكاملة، حيث يكون الإنسان هو مصدر القيم لا الآلهة ولا الطبيعة، وحيث الإنسان هو الكلي على الإطلاق والحقيقة الكاملة)[1]

كما يصرحون في موضع آخر برفض الشريعة الإسلامية جملة وتفصيلاً لأنها تتعارض مع العالم الأزلي الذي لا ينتهي – بحسب اعتقاد بعضهم – ، ومن اقوالهم في ذلك:

(إن العالم ليس شيئاً مخلوقاً منتهياً، وإنما هو اندفاع متحرك لا ينتهي، إنه يولد باستمرار، وبالتالي ينبغي رفض الشريعة الإسلامية أو القواعد المسبقة على جميع المستويات)[2]

فالحداثة إذن هي نقيض الإسلام، لأنها تعني الابتداع وإحداث فكر مغاير للعقيدة الإسلامية، وخلق فلسفة حديثة يكون مصدرها فكر الإنسان وليس وحي السماء.

٢-اتهام التراث والتشريعات الإسلامية بالجمود والتحجر:

فالتشريعات الإسلامية وعلوم الإسلام عامة في نظر الحداثيين هي وليدة عصور ماضية بائدة، وبالتالي فهي أبعد ما تكون عن روح العصر الحديث بنظرته الإبداعية المعرفية، حيث (يعتقد القارئ الحداثي أن علوم

---

[1] من مقال بعنوان"الأدب العربي المعاصر لأدونيس ضمن أعما مؤتمر روما لمجموعة من الحداثيين ص١٨٢ بتصرف يسير منشورات أضواء باريس ط أولى ١٩٦٢م.

[2] الثابت والمتحول- بحث في الاتباع والإبداع عند العرب- صدمة الحداثة، تأليف/ أدونيس ص١٥٦ مرجع سابق.

الإسلام إلتى احتفى بها المسلمون تشكل وسائط معرفية متحجرة تصرفنا عن الرجوع إلى النص القرآني ذاته ، كما أنها تحول دون أن نقرأ هـذا النص قراءة تأخذ بأسباب النظر العقلي الصريح، لذا ما لبث أن أندفع هذا القارئ بقوة في نقد هذه العلوم النقلية) [١] ، لأنها في نظرهم متغايرة عـن روح النهضة الحديثة التي تحتاج إلى نظرية معرفية جديدة تختلف عـن عقلية العصور الماضية.

كما أن التشريعات الإسلامية في نظر الحداثيين، (يرافقها الجمود دائمـاً، ولولا هذا الجمود لكانت تتغير بتغير الأزمنة، كما أن العـادات والتقاليـد التي تسود بقوة الدين أو باسمه هي رمز الجمود والتخلف)[٢]

فهم بذلك يفترضون تجديداً فكرياً متحرراً يرفع شعارات الحرية المطلقـة والمساواة التامة بين الرجل والمرأة بعيداً عن التشريعات الإسلامية وجملة التراث الإسلامي الذي يعتريه التحجر والجمود – بحسب زعمهم – .

٣-الادعاء بأن العقيدة الإسلامية تؤدي إلى تنـامي قـوى الاضـطهاد الاجتماعي:

فالحداثيون في تمردهم على التراث الإسلامي عامة قد رفضوا بعضاً من أمور العقيدة الإسلامية،وشككوا في البعض الآخر كعقيدة اليـوم الآخـر التي اعتبروها مصدر الاضطهاد الاجتماعي بين الشعوب ، ومن أقوالهم في ذلك:

---

[١] روح الحداثة _المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية للأستاذ /طه عبـد الـرحمن: ص.١٨١ مرجع سابق.

[٢] الثابت والمتحول تأليف/ أدونيس ص٦٥ مرجع سابق.

(إن عقيدة القيامة واليوم الآخر هي عملياً إحالة للعدالة إلى الآخرة، هذه العقيدة التي تستفيد منها قوى الاضطهاد الاجتماعي، فالفقراء في هذه الأرض بحاجة إلى حل مشاكلهم المادية العاجلة بمعالجة مادية عاجلة، وعقيدة القيامة واليوم الآخر لا تقدم هذه المعالجة، وعلى قدر الإيمان بهذه العقيدة نجد تنامياً لقوى الاضطهاد الاجتماعي، ولذا يصبح الاضطهاد الاجتماعي ظاهرة متحصلة في تلك المجتمعات)[1]

ومن هنا فالحداثيون في موقفهم من التراث ورفضهم له أنكروا العقيدة تارة وحرفوها وشوهوها تارة أخرى.

٤-الادعاء بعدم صلاحية التراث الإسلامي للمجتمعات الحديثة:

إن الحداثيين وهم بصدد التغني بكل جديد وحديث ورفض كل قديم وموروث، يدعون باطلاً وزوراً عدم صلاحية التراث الإسلامي للمجتمعات الحديثة.

فنجدهم تارة ينادون بالتشريعات والقوانين الوضعية، حيث إنهم (يتفقون على حرية التشريع الوضعي، ويرون أن الدين موجه للعلاقات الاجتماعية فقط، ولكنه ليس بأية حال قائمة وصفات جاهزة صالحة للمجتمعات الماضية ومجتمع القرن العشرين، وللمجتمعات الزراعية والتجارية التقليدية والمجتمعات الحديثة المصنعة)[2]

---

[1] النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية/ حسين مروة ص٣٨١ ط دار الفارابي بيروت ط أولى ١٩٧٨م.

[2] الإسلام والحداثة د/عبدالمجيد الشرفي ص١٧٩، ١٨٠ بتصرف يسير مرجع سابق.

وتارة أخرى يصرحون بعدم صلاحية الإسلام وتراثه للمجتمعات الحديثة، ومما قيل في هذا الشأن: (إن الإسلام عاجز عن أن يجيب على أسئلة العصر، وإن أتباع الدين جيل قديم جامد لا يتطور، يتهالك على التقديس وينفر من الشك والبحث)[1].

وتارة ثالثة يقومون بإضفاء النسبية على آيات الأحكام في الشريعة الإسلامية، حيث يذهب الحداثيون إلى (أن آيات الأحكام لا تحيل على أسباب نزولها فحسب، بل إنها تحيل أيضاً على تاريخ تفسيراتها المتعددة، هذا التاريخ الذي يزيد هذه المعاني تعلقاً بظروفها، وذلك أن المفسرين والفقهاء قد فهموا هذه الآيات فهوماً اختلفت باختلاف مشاغلهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في سياق الظروف التاريخية المتقلبة للمجتمع الإسلامي، وبهذا لا يمكن أن تحمل هذه الآيات معاني مستقرة ولا بالأولى مطلقة)[2]، مما يفتح الباب واسعاً أمام التبديل والتغيير في أحكام الشريعة الإسلامية تحت مسمى التجديد والتحديث، لأن التراث بمضمونه القديم لا يصلح للمجتمعات الحديثة – بحسب زعمهم – .

٥-اتهام التراث الإسلامي بأنه من بقايا الجاهلية:

لقد ألصق الفكر الحداثي بالتراث الإسلامي كل قبيح وذميم، وكان من جملة الاتهامات التي خلعها الحداثيون بالتراث الإسلامي الادعاء بأنه من بقايا الجاهلية.

---

[1] مقال للحداثي نسيم خوري في مجلة لبفكر العربي المعاصر بعنوان: "الإسلام بين الحداثة والتحديث" ص٥٨ العدد الثاني يونيو ١٩٨٠م.

[2] روح الحداثة-المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، أ./طه عبد الرحمن ص١٨٦ مرجع سابق.

يقول الحداثي/ أدونيس:

(لقد كان الإسلام انقطاعاً عن الجاهلية على صعيد النظر أو المضمون، واستمراراً للجاهلية على صعيد الشكل أو التعبير، وهكذا صارت حياة العربي إسلامية أما روحه فبقيت جاهلية)[1]

فالتراث من هذا المنظور الحداثي بمثابة أصنام تقليدية مادية ولكنه يتشكل في قوالب فكرية ومعنوية، فهو يتشابه مع الفكر الجاهلي في أشكاله وتعبيراته وإن اختلف عنه بعض الشيئ في مضمونه وقوالبه.

٦-الادعاء بأن التراث الإسلامي يتصادم مع الثقافة والتفكير:

يقرر الحداثيون أن فلسفة الحداثة هي فكر قبل أن تكون مظهراً من المظاهر الحياتية أو الإبداعية التي أصبحت من أهم مميزات العصر الحديث، ولذا فهم يزعمون أن التراث الإسلامي يتصادم مع هذه الثقافة الإبداعية والتفكير الواسع للفكر الحداثي.

يقول الحداثي/ أدونيس:

(إن التراث الإسلامي شبيه بمملكة قائمة لها قوانينها وسلطانها، والحاضر دائماً بمثابة المتهم أمام سلطان هذه المملكة، وعلاقته بالماضي أكثر من علاقة تابع بمتبوع، إنها علاقة محاكمة يدان فيها الحاضر باستمرار سلفاً ، وبالتالي فلا خيار أمام العربي المعاصر إلا في أمرين، إما الخضوع والتبعية لسلطان الماضي وهذا هو الاهتداء، وإما رفض الخضوع وهذا هو المروق أو الخروج أي الإدانة، وهنا تبدو هذه المؤسسة التراثية تبعاً

[1] الثابت والمتحول ص٢٣٣، ٢٣٤ مرجع سابق.

لذلك كياناً فيما وراء الثقافة وفيما وراء التفكير، بل تبدو أنها تنفي الثقافة والتفكير)[1]

فالحداثيون بادعائهم الكاذب هذا قد نسوا أو تناسوا تلك المؤلفات الفلسفية والفكرية التي أثرت الثقافة والتفكير لدى الشعوب التي عاشت في ظل الدولة المسلمة وتراثها الإسلامي.

وهذا نلاحظ أن موقف الفكر الحداثي من التراث قد أخذ أشكالاً متعددة من الرفض أو التشكيك أو الكذب والافتراء، وقد ذكرنا أبرزها على سبيل المثال وليس الحصر وأنتقل بعد ذلك بعون الله تعالى إلى المطلب الثاني حول أبرز جوانب التحصين الثقافي من موقف الفكر الحداثي من التراث الإسلامي

[1] الثابت والمتحول – بحث في الاتباع والإبداع عند العرب– صدمة الحداثة ص٢٧٦ مرجع سابق.

المطلب الثاني: أبرز جوانب التحصين الثقافي من موقف الفكر الحداثي من التراث الإسلامي:

إن محاولات الحداثيين لفصل الأمة الإسلامية عن تراثها الإسلامي المجيد يعد من أكبر المؤامرات التي تواجه الفكر الإسلامي خاصة في الواقع المعاصر، لذا كان لزاماً على الباحثين إبراز أهم جوانب التحصين الثقافي من موقف الفكر الحداثي من التراث الإسلامي وذلك من خلال النقاط التالية:

١-إبراز جوهر التراث الإسلامي وما يحويه من حضارة وفكر:

لا شك أن العالم اليوم يموج بالكثير من المشكلات التي تعاني منها البشرية على كافة الأصعدة، وهذا ناتج من التناحر الإنساني وحب السيطرة على مقدرات الشعوب وثروات الأمم بلا وازع من أخلاق أو دين، وإذا كانت الحضارة الحديثة التي يتغنى بها أصحاب الفكر الحداثي ويزعمون الارتباط بينها وبين فكرهم الحداثي وجوداً وعدماً، فإنها لم تقدم للبشرية حلولاً جذرية لمشكلاتهم النفسية والاجتماعية وغيرها، بل ازدادت الأمور عناء وشقاء في ظل الحضارة الحديثة أوالفكر الحداثي ، (فالحضارة الحديثة بقدر ما وفرت للناس بعض الخير والرفاهية فقد وفرت لهم الشقاء أيضاً، لأنها حضارة مادية لا ترى للإنسان غير الكيان المادي، ومن ثم سعت لإشباع هذا الكيان المادي ونسيت حاجات روحه، وهكذا تقدم الغرب والشرق على السواء خطوات واسعة وتخلفاً خطوات

أوسع، تقدماً في مجال التقدم المادي وتخلفاً في المجال الأخلاقي والروحي)[1]

ولذا كان من أبرز جوانب التحصين الثقافي من موقف الفكر الحداثي من التراث الإسلامي إبراز جوهر التراث الإسلامي وما يحويه من عظمة وحضارة وفكر، وأن مبادئ الإسلام تجمع بين المادية والروحية في آن واحد على حد سواء بحيث لا يطغى جانب على آخر.

يقول الدكتور/ محمد جمال الدين الفندي:

(فمبادئ الإسلام الحنيف تقوم على مبدأ لا يسرف في المادية ولا يقلل من الروحية ولكنه يجمع بينهما، فيجعل أساس الحضارة روحياً ويجعل مظهرها ماديا، وهذا المبدأ هو ما أرست دعائمه تعاليم القرآن، فهي تعاليم روحية في أساسها تنادي بأكرم الأخلاق وأحسن المثل، تماماً كما تسلم برفاهية العيش في هذه الحياة الدنيا)[2]، ولذا جمع القرآن الكريم في نصوصه بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح معا.

ففي جانب متطلبات الجسد يقول سبحانه: (يابني آدم خذوا زينتكم عن كل مسجد وكلو واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)[3]

---

[1] الإسلام والكون د/عبدالغني عبود ص١٣٠ بتصرف يسير مرجع سابق.

[2] الإسلام وقوانين الوجود د/محمد جمال الدين الفندي ص٢١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.

[3] سورة الأعراف: الآيتان ٣١، ٣٢ .

وفي جانب متطلبات الروح يقول سبحانه: (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)[1]

يثول فضيلة الشيخ/ محمود شلتوت – رحمه الله-:

(فالإسلام الحنيف قد بنى تنظيمه للعالم على الواقع، وهو أن الإنسان جسم وروح، وأن للجسم حظاً ومتعة، وأن للروح حظاً ومتعة، ولا تتحقق سيادة الإنسان إلا باستكمال حظي الجسم والروح معا على وجه من الاعتدال الذي لا إفراط فيه ولا تفريط)[2].

وهذا ما ينبغي إبرازه لتحقيق التحصين الثقافي عند المسلمين ضد مخاطر الفكر الحداثي من التراث الإسلامي.

٢-ضرورة فهم وإدراك المرجعية الفكرية عند أصحاب الفكر الحداثي:

إن فهم وإدراك المرجعية الفكرية عند أصحاب الفكر الحداثي يمثل نقطة مهمة في سبيل تقديم التحصين الثقافي من مخاطر الفكر الحداثي ضد التراث الإسلامي.

فالحداثيون قد اقتبسوا مناهجهم النقدية من المدارس الفلسفية التي أفرزتها الصراعات الفكرية الغربية، وهي بالطبع ذات صبغة مادية وإلحادية بحتة، ثم أخذوا يطبقونها على التاريخ والتراث الإسلامي، مع الفارق الواضح والاختلاف الظاهر بين البيئتين والثقافتين الإسلامية والغربية، بل والأخطر من ذلك وأشد أن (أصبحت المناهج النقدية الغربية تمثل سلطة مرجعية للناقد يرجع إليها كلما حاول إصدار حكم نقدي على أي ظاهرة

[1] سورة الحجر: الآيتان ٩٨، ٩٩ .

[2] من توجيهات الإسلام ص٨٦ الناشر دار العلم بالقاهرة بدون تاريخ.

يقوم بدراستها في الفكر الإسلامي، مثل تفسير حركة الفتوحات الإسلامية تفسيراً مادياً جدلياً باعتبارها تهدف إلى التوسع والهيمنة، وأن حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– وكذا الفتنة الكبرى التي حدثت في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – إنما هي حروب اقتصادية، وأن تاريخ الإسلام منذ قيام الإسلام إلى اليوم هو تاريخ صراع بين الطبقات وهكذا، وقد أغفل هؤلاء النقاد الحداثيون مثلاً الدوافع الإيمانية التي دفعت حركة الفتوحات الإسلامية وهي الدوافع التي يحث عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة من نشر الدعوة الإسلامية وأعلاء كلمة الله في الأرض)[1].

فالفكر الحداثي يعتمد في مرجعيته الفكرية على المدارس الغربية والأوربية ذات الصبغة المادية والإلحادية، لذا وجب إبراز تلك الحقيقة في معرض التحصين الثقافي للمسلمين من مخاطر الفكر الحداثي ضد التراث الإسلامي.

٣–ضرورة تفنيد الشبهات التي أثارها الحداثيون ضد التراث الإسلامي:

لقد أكثر الحداثيون من الشبهات التي أثاروها ضد التراث الإسلامي، ولذا وجب على الباحثين الإسلاميين التصدي لمثل هذه الشبهات بدءاً بذكرها وتحليلها وانتهاءً بنقدها وتفنيدها، ولسنا هنا بصدد تجميع كل الشبهات والرد عليها وتفنيدها، ولسنا هنا بصدد تجميع كل الشبهات والرد عليها تفصيلاً ، وإنما نحاول فقط وضع خطوط عريضة بمثابة خطوات

[1] من مقال بعنوان:" مأزق النقد في الفكر الحداثي للدكتور/ أحمد بن محمد العيسي نشر في مجلة البيان التي تصدر عن المنتدى الإسلامي العدد الحادي والثمانين ص٩٨ .

وعناوين موجزة لجوانب التحصين الثقافي من مخاطر الفكر الحداثي ضد التراث الإسلامي، مع حث الباحثين على تجميع هذه الشبهات وأن يفردوا لها بحوثاً مستقلة للرد عليها وتفنيدها.

وأكتفي هنا إلى الإشارة بإيجاز إلى واحدة من تلك الشبهات التي أثارها الحداثيون ضد التراث الإسلامي والرد عليها، وهي المتعلقة "بضرورة التخلي عن التراث وخاصة ما يتعلق بالغيبيات من أجل اللحاق بركب الحضارة الحديثة"

فهذه دعوى باطلة ومضللة – شأنها في ذلك شأن سائر الشبهات– ولا يحتاج للرد عليها مزيد فكر أو عناء، فالمتأمل والمنصف على يقين أن العكس هو الصحيح

يقول الأستاذ/ أنور الجندي" ما ملخصه" :

(لقد أكد العلماء التجريبيون أن النهضة الإسلامية لا يمكن أن تستأنف إلا بالاتصال بنهاية التراث الإسلامي الذي توقف من قبل البناء عليه، فالذين يدعون إلى التخلي والتخفف من التراث إنما يدعوننا إلى التيه حتى نفقد طريقنا ومنطلقنا الحقيقي إلى النهضة المرتقبة، ذلك أن أبرز مظاهر تراثنا الفكري والحضاري لصناعة نهضة إسلامية عربية هي ذاتها العناصر الأساسية للمنهجية العلمية والتقنية التي ارتكز عليها الانبعاث في أوروبا بعد عصر النهضة وانطواء العصور الوسطى، حيث برهن المسلمون خلال ذلك على أصالة نادرة وروح خلاقة واستعداد للتكيف، فقد أعدوا منهجاً تجريبياً رصيناً لم يكن للإنسانية عهد به، وطوروا الاختصاص

التقني، وحرروا الفكر، وعززوا شمولية الكشف العلمي بربط الماضي بالحاضر)[1].

هذا بالإضافة إلى أن المتأمل أيضاً يدرك أن مكتشفات العلم في جوهرها دليل على وجود الغيبيات التي أمر الإسلام الحنيف بالإيمان بها، فقد برهنت الكشوف العلمية برهنة عملية واضحة على هذا الأمر من خلال الاكتشافات والاعتراف بوجود أشياء لا ترى بالمشاهدة العينية، كوجود الميكروبات والذرات وغيرها، حتى أصبحت هذه الأمور من البداهات العلمية مع أنها غير محسوسة أو غير مرئية، (حيث توجد موضوعات محسوسة وخارجية عنا وهي معطاة لنا، ولكننا لا ندري ما يمكن أن تكون عليه في ذاتها، حيث إننا لا نعرف غير ظاهرها أي التمثلات التي تحدثها فينا وتؤثر بها على حواسنا، وهذه الأشياء نطلق عليها اسم الأجسام، ويعنى بها ظاهرة الموضوع المجهول في ذاته وهي ظاهرة واقعية، ومن الأمثلة على ذلك الحرارة والكهرباء وغيرها، فإننا نحس بتأثيرها ولا نراها)[2]

فوجود الغيبيات شيئ منطقي وضرورة واقعية تفرضها حقائق الكون ومكتشفات العلم، وأن التجربة الحسية التي لا يؤمن الحداثيون إلا بها

---

[1] من مقال للأستاذ/ أنور الجندي بعنوان "التراث الإسلامي بين الأصالة والتزييف- حقائق حول التراث الإسلامي والذي نشر في مجلة البيان التي تصدر عن المنتدى العربي العدد ١٣٧ ص٣٣ .

[2] مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علما، تأليف: إمانويل كانت، ترجمة د/ نازلي إسماعيل حسين- مراجعة د/عبدالرحمن بدوي ص١٧ الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

ليست هي المعيار الوحيد للوجود والإيمان بالأشياء، وهذا من أهم جوانب التحصين الثقافي ضد الفكر الحداثي فيما يتعلق بالتراث الإسلامي.

٤-إدراك وفهم أن الحداثة بمعناها الغربي الحديث هي أزمة ضياع لا ضريبة تحضر:

إن الحداثة الغربية قدمت نفسها للعالم على أنها منبع الحضارة الحديثة ذات الصناعات التكنولوجية والتقدم الواضح في الحريات وحقوق الإنسان والمساواة بين الناس، ظناً منها أنها جاءت بالخير المطلق للناس، ولا يدري أصحابها أنهم ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون، حيث (بدلت الحداثة موقعي الإنسان والأخلاق داخل نظام المعرفة الكونية، وبالتالي فقد انتزعت الإنسان من التاريخ ونصبته إلهاً زائفاً خارجه، وأسقطت الأخلاق داخل التاريخ ففقدت فاعليتها، وقطعت الطريق تماماً على أي تفاعل حقيقي بين الذات الإنسانية الفاعلة والموضوع التاريخي)[١].

ولعل ما دفع أصحاب الفكر الحداثي إلى تأزيم الصراع بين القديم والحديث هو اعتقادهم الباطل بأن هذا الصراع هو الضريبة الحقيقية واللازمة للتحضر الذي تصنعه الحداثة في الواقع المعاصر وبين ضرورة القضاء على التخلف الذي يصنعه التراث الإسلامي القديم، ولذا نجد (أن الذي تميز به طور الحداثة الغربية هو قطع الصلة بالأخلاق التي كانت الأسرة تزود بها أفرادها في الأطوار السابقة، فسعى أهل الحداثة بكل قوة إلى تحرير الأخلاق من سلطة المعتقدات الدينية، حتى لا تقوم على

[١] الحداثة والهولوكوست/ ريجمونت باومان، ترجمة إلى العربية/ حجاج أبو جبر، ودينا رمضان ص١٦ مرجع سابق.

الخوف من عذاب جهنم ولا على الطمع في نعيم الجنة، فضلاً عن تحريرها من سلطة رجال الكنيسة)[1].

فالحداثة بمبادئها وأسسها قد أعطت السلطة المطلقة للعقل على حساب الوحي، وأعلت جانب الإلحاد والكفر بالله على حساب الإيمان به سبحانه، وجعلت التعلق بالدنيا هدفاً أسمى على حساب التعلق بالآخرة، مما يؤكد أن هذه الحداثة الغربية هي أزمة ضياع فكري وديني وأخلاقي وليست ضريبة ثقافة وتحضر.

٥-إدراك وفهم أن التراث الإسلامي وليد الثقافة والتفكير ولا يتصادم معها – كما يدعي الحداثيون – :

إن التراث الإسلامي هو النتاج العملي لفهم اجتهاد العلماء المسلمين عبر العصور لنصوص الكتاب والسنة التي تدعو إلى التفكير والتأمل وسعة الإدراك، فالقرآن الكريم يخاطب العقول في كافة آياته، ويجعل التفكير والتدبر من أعلى درجات العبادة، كما يضع العقلاء والعلماء في أعظم المراتب وأرفعها عند الله تعالى، قال تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)[2]، وقال سبحانه: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب)[3]

كما نجد القرآن الكريم يمدح الذين يستخدمون عقولهم ويتأملون بها في ملكوت السموات والأرض، قال تعالى: (إن في خلق السموات والأرض

---

[1] روح الحداثة- المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية أ/ طه عبدالرحمن ص١٠٠ مرجع سابق.

[2] سورة المجادلة: آية ١١

[3] سورة الزمر:آية ٩

واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الـذين يـذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنـا مـا خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)[1]

كما نعى القرآن الكريم على من ألغوا عقولهم وعطلوها عن التأمل والنظر مبررين ذلك بتقليدهم للآباء والأجداد، قال تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوا كان آبـاؤهم لا يعقلـون شيئاً ولا يهتدون) [2]

كما شبه القرآن الكريم من لا يستعمل حواسه فيما خلقت له بالأنعام بـل أضل سبيلا من ذلك قال تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بهها ولهم أعـين لا يبصـرون بهـا ولهـم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)[3]

كما نجد في السنة النبوية جملة من الأحاديث التي تمـدح أهـل الفكـر وتميزهم على غيرهم من الناس، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم: (استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولـوا الأحـلام والنهى، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[4]

---

[1] سورة آل عمران: الآيتان ١٩٠، ١٩١.

[2] سورة البقرو: آية ١٧٠

[3] سورة الأعراف: آية١٧٩

[4] صحيح مسلم كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف ج١ ص٣٢٣ مرجع سابق.

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن حميد بن عبدالرحمن قال: سمعت معاوية خطيباً يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[1].

ومن هنا فالإسلام يحض على التفكير ويؤكد على استخدام العقل وتكريم أهله لأنه مناط التكليف وبه يتحمل الإنسان مسئولية نفسه ثواباً وعقابا.

يقول الدكتور/ عبدالحليم محمود- رحمه الله- :

(إن القرآن الكريم هو كتاب العقل، وأنه بأكمله دعوة صارخة لتحرير العقل من عقاله، وأنه يدعونا بعبارات تختلف في أسلوبها وتتحد في معناها إلى استعمال العقل ووزن كل شيئ بميزانه، وأنه يترك لنا الحرية في أن نعتقد ما يرشد إليه عقلنا، وأن نتبع السبيل الذي ينيره ويهدينا إليه تفكيرنا)[2].

إذن فالتراث الإسلامي دليل صريح على توافقه مع روح الثقافة والتفكير ولا يتصادم معهما – كما يدعي الحداثيون- كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

وبعد، فهذه إشارة سريعة وموجزة لأبرز جوانب التحصين الثقافي من موقف الفكر الحداثي من التراث الإسلامي، ذكرتها على سبيل المثال

---

[1] صحيح البخاري، كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ج١ ص٢٨،٢٧ .

[2] التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل ص١٥ الناشر دار الكتب الحديثة مطبعة حسان ١٩٧٣م.

وليس الحصر في محاولة جادة للوصول بالأمة الإسلامية إلى أقرب نقطة من الكمال فيما يتعلق بالتحصين الثقافي من مخاطر الفكر الحداثي.

وأخيراً، فقد اجتهدت على قدر استطاعتي في هذا البحث الذي جاء تحت عنوان: (التحصين الثقافي من الفكر الحداثي- رؤية من منظور إسلامي)، ولا أدعي الكمال مطلقاً في بحثي هذا، فالكمال لله تعالى وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله عليهم السلام- وعلى رأسهم خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما هو لبنة في طريق التصدي لأعداء الدين، وتوجيهاً وإرشاداً لأبناء الأمة الإسلامية أن يتحصنوا بدينهم ويتمسكوا بعقيدتهم، وأن يكون عندهم من الثقافة الإسلامية ما يسعفهم عند الاحتياج ويشكل لديهم تحصيناً ثقافياً في مواجهة مخاطر الفكر الحداثي، (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)[1] وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[1] سورة هود: آية ٨٨ .

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لـــولا أن هـــدانا الله، والصـــلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فبعد أن أتممت هذا البحث الذي جاء تحت عنوان: (التحصين الثقافي من الفكر الحداثي- رؤية من منظور إسلامي) الخص أهـــم نتائجـــه وأبـــرز توصياته فيما يلي:-

أولاً: أهم النتائج:

١-إن مصطلح "الفكر الحداثي" من المصطلحات التي طرأت على الساحة الفكرية المعاصرة، وهو يعتمد أساساً في مرجعيته الفكرية على الصـــبغة المادية الإلحادية الأوروبية.

٢-لقد اتخذ الفكر الحداثي أشكالاً متعددة في رفض القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الإسلامي برمته، فتـــارة بـــالرفض الصـــريح، وتـــارة بالتشويه، ومرة بالتشكيك إلى غير ذلك، متخذاً من سيطرة النخب الحداثية على وسائل الإعلام المختلفة سبيلاً للوصول إلى أهدافهم.

٣-إن الفكر الحداثي يشكل انعكاساً واضحاً للتيه والاضطراب الذي دخلته أوروبا في كافة المجالات، خاصة بعد سيطرة الكنيســـة وفســـادها منـــذ العصور الوسطى حتى العصور الحديثة، مما هيأ الظروف المناسبة فـــي أوروبا وغيرها لاحتضان وقبول الفلسفة الحداثية.

٤-كان من أهم آثار الفكر الحداثي على المجتمعات والشعوب الانحراف العقدي والأخلاقي، ونشر القوانين الوضعية بديلاً عن الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى الاضطرابات النفسية وفقدان الأمن الروحي والاجتماعي.

٥-يشكل التحصين الثقافي نقطة محورية في التصدي لهذا الفكر الحداثي من خلال بلورة وعي فكري وثقافي لدى الإنسان المسلم مستمد من عقيدته وتراثه الإسلامي يقيه من مخاطر الفكر الحداثي.

ثانياً: التوصيات:

ومن خلال معايشتي لهذا البحث المتعلق بالتحصين الثقافي من الفكر الحداثي -رؤية من منظور إسلامي ، أجد أنه من المناسب إبراز أهم التوصيات التالية:-

١-ينبغي إبراز أهمية البحوث التي تهتم بتفنيد الشبهات التي أثارها الحداثيون ضد التراث الإسلامي، مع تشجيع الباحثين لتكثيف البحوث حولها، من خلال جمعها ثم تحليلها والرد عليها وتفنيدها، لتحقيق أقرب نقطة من الكمال فيما يتعلق بالتحصين الثقافي من مخاطر الفكر الحداثي.

٢-تكثيف الجهود المخلصة للإستخدام الأمثل لوسائل الإعلام المختلفة في توضيح الصورة البيضاء الناصعة عن الإسلام الحنيف وتراثه وحضارته، بعد تنقية هذه الوسائل الإعلامية من أصحاب الأهواء والفكر المضلل والكارهين للإسلام وحضارته.

٣-تكثيف الجهود حول محاولة تدريس مواد الثقافة الإسلامية التي تهتم بإبراز حقيقة العقيدة الإسلامية والأخلاق والتراث الإسلامي، وكذا تدريس وحفظ القرآن الكريم أو أجزاء منه على الأقل في كافة مراحل التعليم عامة وطلاب الجامعات خاصة، وعدم الاكتفاء بتدريسها في جامعة الأزهر فقط، وأن تكون دراسة هذه الثقافة الإسلامية وحفظ القرآن الكريم

أو أجزاء منه أمراً أساسياً ، بمعنى بأن يكون اجتياز النجاح فيها شـــرطاً لانتقال الطالب أو الطالبة من مرحلة دراسية إلى التي تليها.

٤-الاعتناء بمادة التربية الإسلامية في مراحل التعليم الأساسي، علـــى أن تكون مادة أساسية كغيرها من المواد الدراسية.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع والمصادر

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	اسم المحقق	دار النشر وتاريخ الطبع
القرآن الكريم- جل من أنزله-				
١	الإحكام في أصول الأحكام	أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري،	تحقيق/أحمد محمد شاكر، قدم له الأستاذ الدكتور/إحسان عباس	دار الآفاق الجديدة بيروت.
٢	الأدب العربي المعاصر- أعمال مؤتمر روما-	مجموعة من الحداثيين		منشورات أضواء باريس ط أولى ١٩٦٢م.
٣	الإسلام وحقوق الإنسان- ضرورات لا حقوق-	د/ محمد عمارة		من سلسلة علم المعرفة التي يصدرها المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب بالكويت العدد ٨٩ شعبان ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٤	الإسلام والكون	د/ عبدالغني عبود		ط دار الفكر العربي ط أولى مايو ١٩٧٧م.
٥	الإسلام في عصر العلم	أ.د/محمد أحمد الغمراوي		الناشر دار الكتب الحديثة.
٦	الإسلام وقوانين الوجود.	د/ محمد جمال الدين الفندي		ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م
٧	الإسلام والحداثة	د/عبد المجيد الشرفي		ط الدار التونسية ط ثانية ١٩٩١م.

٨	الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع	د/محمد عبدالله الشرقاوي		الناشر مكتبة وهبة ط ثالثة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٩	الاقتراح في بيان الإصلاح	تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهيب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد		الناشر دار الكتب العلمية بيروت.
١٠	أساس البلاغة	أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله	محمد باسل	دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
١١	أسس علم اللغة	د/أحمد مختار عمر		عالم الكتب ط ثامنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
١٢	إعجاز القرآن والبلاغة النبوية	مصطفى صادق الرافعي		المكتبة الأهلية بمصر ط ثانية ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م.
١٣	إعادة التفكير في الحداثة- نزعة ما بعد الاستعمار	جيرمندرك باميرا	ترجمة/ إبتسام سيد علام، حنان محمد حافظ، مراجعة/ أحمد زايد،	ط المركز القومي للترجمة تحت إشراف د/ جابر عصفور ط أولى ٢٠١٦م.

١٤	بدائع الفوائد	شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية		الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
١٥	البرهان في أصول الفقه	عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني أبي المعالي ركن الدين الملقب بإمام الحرمين،	تحقيق/صلاح بن محمد عويضة	الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
١٦	تاج العروس من جواهر القاموس	محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي	مجموعة من العلماء والمحققين	الناشر دار الهداية.
١٧	تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي	عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي،	أبو قتيبة نظر محمد الغاريابي	الناشر دار طيبة بدون تاريخ.
١٨	تدوين السنة ومنزلتها	د/عبدالمنعم السيد نجم		الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة الحادية عشر ربيع أول ١٣٩٩هـ.
١٩	التراث والحداثة- دراسات ومناقشات	محمد عابد الجابري		ط مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ط أولى ١٩٩١م.

٢٠	تفسير القرآن العظيم	أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي	تحقيق/ محمد حسين شمس الدين،	الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١٩م.
٢١	تهذيب اللغة	محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور	محمد عوض مرعب	الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت ط أولى ٢٠٠١م.
٢٢	التعريفات	علي بن محمد الزين الشريف الجرجاني	جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية	الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م
٢٣	التوحيد الخالص أو الإسلام والعقل	د/عبدالحليم محمود		الناشر دار الكتب الحديثة مطبعة حسان ١٩٧٣م.
٢٤	الثابت والمتحول- بحث في الاتباع والإبداع عند العرب- صدمة الحداثة	تأليف/ أدونيس		ط دار العودة بيروت ط أولى ١٩٧٨م.
٢٥	جامع البيان في تأويل آي القرآن	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري،	أحمد محمد شاكر	الناشر مؤسسة الرسالة ط أولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٢٦	الجامع لأحكام القرآن الناشر دار الكتب المصرية القاهرة ط ثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.	أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي،	تحقيق/أحمد البردوني،إبرا هيم أطفيش	
٢٧	الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بصحيح البخاري	محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي	محمد بن ناصر الناصر	الناشر دار طوق النجاة ط أولى ١٤٢٣هـ
٢٨	جدل الحداثة في الشعر- دراسة تطبيقية	د/وفيق خنسة		ط دار الحقائق بيروت ط أولى ١٩٨٥م.
٢٩	جمهرة اللغة	أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي،	تحقيق/ رمزي منير بعلبكي	الناشر دار العلم للملايين بيروت ط أولى ١٩٨٧م.
٣٠	الحداثة في منظور إيماني	د/عدنان علي رضا النحوي		ط دار النحوي للنشر والتوزيع بالرياض ط ثالثة ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

٣١	الحداثة وما بعد الحداثة	د/عبدالوهاب المسيري، د/ فتحي التريكي		ط دار الفكر بدمشق سوريا، ودار الفكر المعاصر بيروت لبنان ط ثالثة ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.
٣٢	الحديث والمحدثون	د/محمد محمد أبو زهو		الناشر دار الفكر العربي ط ١٣٧٨هـ.
٣٣	الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر- محمد أركون- محمد الجابري-هشام جعيط	تأليف/عبدالرحمان اليعقوبي،		الناشر مركز نماء للبحوث والدراسات بيروت لبنان ط أولى ٢٠١٤م.
٣٤	الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية انهيار دعاوى الحداثة.	عزت السيد أحمد		الناشر دار الفكر الفلسفي للدراسات والترجمة والنشر دمشق ط ثانية ١٩٩٩م
٣٥	الحداثة في العالم العربي- دراسة عقدية، رسالة دكتوراة	محمد عبدالعزيز أحمد العلي إشراف د/ناصر بن عبدالكريم العقل،		نوقشت بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤١٤هـ.

٣٦	الحداثة والهولوكوست	ريجمونت باومان	نقله إلى العربية/حجاج أبو جبر، دينا رمضان	ط مركز مدارات للأبحاث والنشر بالقاهرة ط أولى ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.
٣٧	الحداثة والتراث	محمد مصطفى هدارة		ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦هـ.ا
٣٨	دفاعاً عن العقل وعن الحداثة	د/ محمد سبيلا		ط دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ط أولى ١٩٨٥م.
٣٩	دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة	أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي	توثيق وتعليق د/عبدالمعطي قلعجي	الناشر دار الريان للتراث ودار الكتب العلمية بيروت لبنان-مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة١٤٠٨هـ١٩٨٨م.
٤٠	روح الحداثة- المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية	الأستاذ/ طه عبد الرحمن،		الناشر المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء بالمغرب ط أولى ٢٠٠٦م.
٤١	الرسالة	الإمام الشافعي أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المكي،	أحمد محمد شاكر	الناشر مكتبة الحلبي بمصر ط أولى ١٣٥٨هـ ١٩٤٠م.

٤٢	سنن أبي داود	أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني	محمد محيي الدين عبد الحميد	الناشر المكتبة العصرية صيدا بيروت
٤٣	سنن الترمذي	محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى	أحمد محمد شاكر	الناشر مصطفى البابي الحلبي بمصر ط ثانية ١٢٩٥هـ ١٩٧٥م.
٤٤	السنن الكبرى	أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني أبي بكر البيهقي	محمد عبدالقادر عطا	الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م.
٤٥	شبهات القرآنيين حول السنة النبوية ،.	د/ محمود محمد مزروعة		الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة
٤٦	السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام	محمد عبدالملك بن هشام المعافري	جمال ثابت وآخرين	ط دار الحديث بالقاهرة ط ثانية ١٣٨٠هـ ١٩٦١م.
٤٧	شرح مختصر الروضة	سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الطوقي الصرصري أبي الربيع نجم الدين	عبدالله بن عبدالمحسن التركي	الناشر مؤسسة الرسالة ط أولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٤٨	صحيح ابن حبان	محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي أبي حاتم الدارمي البستي	شعيب الأرنؤوط	الناشر مؤسسة الرسالة بيروت ط ثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٢م
٤٩	الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين	د/أحمد محرم الشيخ ناجي		ط خامسة بدون تاريخ أو ناشر،
٥٠	العجاب في بيان الأسباب.	أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني	عبدالحكيم محمد الأنيس	الناشر دار ابن الجوزي بدون تاريخ
٥١	الفتوحات العربية الكبرى في ميزان الإسلام والتاريخ- دراسة نقدية لآراء الجنرال جلوب	لواء أركان حرب متقاعد د/محمد بهاء الدين حنفي،	تقديم أ.د/محمد عمارة، إشراف أ.د/محيي الدين عفيفي أحمد، أمين عام مجمع البحوث الإسلامية	ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، من سلسلة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، السنة التاسعة والأربعون ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م.
٥٢	الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر- مشكلات الأسرة والتكافل	د/محمد البهي		الناشر مكتبة وهبة ط ثالثة ١٤٠٢هـ١٩٨٢م.

٥٣	فلسفة الحداثة في فكر هيفل	د/ محمد الشيخ		ط الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت ط أولى ٢٠٠٨م.
٥٤	قصة النزاع بين الدين والفلسفة	د/توفيق الطويل		مطبعة الاعتماد، الناشر مكتبة الآداب بدون تاريخ.
٥٥	قضايا وشهادات	كتاب ثقافي دوري يقوم على هيئة تحريره/ عبدالرحمن منيف، وجابر عصفور وآخرون،		مؤسسة عيبال للدراسات والنشر قبرص ط أولى ١٩٩١م.
٥٦	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل	أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله		الناشر دار الكتاب العربي بيروت ط ثالثة ١٤٠٧هـ.
٥٧	لعنة الحداثة بين الجنرال والباشا	د/علي مبروك		ط رؤية للنشر والتوزيع بالقاهرة ط أولى ٢٠٠٦م.
٥٨	مسند الإمام أحمد بن حنبل	أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني	شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف د/عبدالله بن عبدالمحسن التركي،	الناشر مؤسسة الرسالة ط أولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٥٩	معجم لغة الفقهاء	محمد رواس قلعجي، حامد صادق قتيبي		الناشر دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ط ثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٦٠	مجلة البيان التي تصدر عن المنتدى الإسلامي.			المنتدى الإسلامي
٦١	مختار الصحاح	زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي	يوسف الشيخ محمد	الناشر المكتبة العصرية والدار النموذجية بيروت صيدا ط خامسة ١٤٢٠هـ١٩٩٩م.
٦٢	المعتمد في أصول الفقه	محمد بن علي الطيب أبي الحسين البصري	خليل الميس	الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤٠٢هـ
٦٣	المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية،إبراهيم مصطفى وآخرون		الناشر دار الدعوة.
٦٤	مجموع الفتاوى	أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني	عبدالرحمن بن محمد بن قاسم	الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
٦٥	مدارات الحداثة	د/ محمد سبيلا		ط الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت ط أولى ٢٠٠٩م.

٦٦	المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بصحيح مسلم	مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري	محمد فؤاد عبدالباقي	الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت.
٦٧	المستدرك على الصحيحين	أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الطهماني النيسابوري	مصطفى عبدالقادر عطا،	الناشر دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١١هـ ١٩٩٠.
٦٨	المعجم الأوسط	سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني	طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسين	الناشر دار الحرمين بالقاهرة بدون تاريخ.
٦٩	معرفة أنواع علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح	عثمان بن عبدالرحمن أبي عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح	نور الدين عتر	الناشر دار الفكر بسوريا- دار الفكر المعاصر بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٧٠	مفهوم النص	د/ نصر حامد أبو زيد		ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٩٣م.

٧١	مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير	أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي		ط دار الغد العربي ط أولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٧٢	مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علما	إمانويل كانت	ترجمة د/نازلي إسماعيل حسين، مراجعة د/عبدالرحمن بدوي	الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٧٨هـ ١٩٧٦م.
٧٣	الموافقات	إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي	أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان	الناشر دار ابن عفان ط أولى ١٤٢٧هـ ١٩٩٧م.
٧٤	النبأ العظيم	د/محمد عبدالله دراز		مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م.
٧٥	من توجيهات الإسلام	الشيخ/ محمود شلتوت		الناشر دار العلم بالقاهرة بدون تاريخ.
٧٦	النبوة والأنبياء في الفكر الإسلامي	د/علي عبد الفتاح المغربي		الناشر مكتبة وهبة ط ثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٧٧	النزعات المادية في الفلسة العربية الإسلامية	الأستاذ/ حسين مروة		ط دار الفارابي بيروت ط أولى ١٩٧٨م.
٧٨	ندوة مواقف الإسلام والحداثة	د/حسن حنفي وآخرون		ط دار الساقي لندن ط أولى ١٩٩٠م.
٧٩	النص والسلطة والحقيقة- إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة	د/ نصر حامد أبو زيد		ط المركز الثقافي العربي بيروت ط رابعة ٢٠٠م.
٨٠	نقد الحداثة	ألان تورين	ترجمة/ أنور مغيث	ط المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٧م.
٨١	نقد الخطاب الديني	د/نصر حامد أبو زيد		ط مكتبة مدبولي بالقاهرة ط رابعة ٢٠٠٣م.
٨٢	الوحي والقرآن الكريم	د/محمد حسين الذهبي		الناشر مكتبة وهبة ط أولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٨٣	الوسيط في علوم ومصطلح الحديث	د/محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة		الناشر دار الفكر العربي بدون تاريخ.
٨٤	وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب،	الأستاذ/ عبدالله بن ناصر السدحان		الناشر مكتبة العبيكان ط أولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.